ساحر الكتب
sa7eralkutub.com
رواية
منى حارس
لعنة الضريح

لعنة الضريح

رواية لـ

د / منى حارس

إهداء

إلى الدكتور والكاتب الكبير: أحمد خالد توفيق..

الذي جعلني أحب القراءة منذ كنت طفلة: فلقد زرعَ فيَّ حُبَّ التخيُّل ومحاولة الكتابة

وإهداء إلى كل من شجعني ودعمني وأُعجَب بقصصي وآمن بموهبتي..

فلكم منّي كل الشكر والاحترام.

مقدمة

ماذا تعرف عن الشياطين؟ هل تؤمن حقًّا بوجودهم حولك في كل مكان؟؟ هل تخيلت يومًا كيف تبدو أشكالهم أو هيئتهم؟؟ من المؤكد أن الصورة التي تداعب خيالك الآن إنهم كيانات سوداء مرعبة قبيحة يحملون قرونًا سوداء طويلة على رؤوسهم، وعيونهم حمراء بلون الدم وأقدام سوداء مشعرة لها حوافر ماعز طويلة ومدببة.. كما كانوا يخيفوننا حين كنا صغار وهذا ما جعلنا ننظر لأقدام الغرباء قبل التحدث معهم؛ لنتأكد من أنهم ليسوا شياطين وإنما هم من البشر مثلنا.

ولكن ماذا ستفعل إن اكتشفت أن تلك الشياطين تستطيع أن تتخذ هيئة البشر وتتزوج منهم، يستطيعون أن ينجبوا وتكون لهم ذُرية.. فما مصير تلك الذرية؟؟!! هل ينتمون لعالم الشياطين أم لعالم البشر؟؟!! لا ندري حقًّا..؟

لقد عرَّف عبد الله الحظرد في كتاب العزيف necronomicon (كتاب أسماء الموتى) عشرين شيطانًا اتخذوا هيئة البشر واختلطوا وتزوجوا منهم وأنجبوا ذُرية بشرية ذات جذور شيطانية كان هدفهم الأول هو التكاثر وزيادة نسلهم على الأرض.. فماذا ستفعل إن اكتشفت يومًا أن أحد المقربين منك هو واحد من نسل تلك الشياطين.

ولكنه لا يتذكر عن أصله أي شيء.. ربما كان صديقك أو جارك أو ابنة خالتك التي تحبها وتنوي الزواج منها، وربما كانت زوجتك؛ فعند التقدم لطلب يد إحداهن لن تهتم كثيرًا بالتدقيق في بعض الأمور البسيطة هذه، فكل ما يهم في العروس هو أخلاقها وأصلها وجمالها وربما مالها، ولن تهتم كثيرًا بالسؤال عن نسلها: إن كان هذا النسل بشريًا أم شيطانيا؟؟ ولكني أنصحك عزيزي بالتدقيق والسؤال جيدًا؛ فمن يعرف ماذا سيحدث في المستقبل؟؟ فلابد من التعرُّف على نسل تلك الذرية جيدًا والتعرف على علاماتهم المميزة التي يتميزون بها، فمن يدري، فربما يومًا يستعيدون ذاكرتهم فجأة ووقتها فقط ستعرفهم على حقيقتهم المرعبة وتجد أن الأوان قد فات للبُعد عنهم؛ فهناك بعض الأماكن والبيوت وربما بعض القبور تعتبر مداخل وبوابات بين العالمين: عالمهم الشيطاني وعالمنا البشري هي التي تجعلهم يتذكرون أصلهم ونسلهم.. يحتاجون فقط أن يدخلوا هذه الأماكن حتى يعرفوا حقيقتهم ويستعيدوا ذاكرتهم التي تناسوها مع الزمن.. وهذا ما حدث في روايتنا هذه.. بيت جديد وقبر مشئوم وبوابة المرور للعالم السفلي للشياطين.. *ولعنة الضريح*.

الفصل الأول

شقة لُقطة بسعر مغري

في أحد المنازل البعيدة نوعًا ما عن العمران، كانت تقف سيدة متوترة تتحدث بقلق مع ابنتها التي تقف أمام إحدى النوافذ وتنظر بشرود.

فقالت الأم بصوت مهزوز تنادي على ابنتها: أينور يا بنتي، إحنا خلاص مسافرين، إخواتك نزلوا ومستنين تحت البيت مفيش وقت.. جهزي شنطتك بسرعة.."

ولم ترد الطفلة فاقتربت الأم ببطءٍ من ابنتها التي كانت تنظر من نافذة غرفتها بشرودٍ وهي في عالم آخر لا تسمع شيئًا مما يقال لها.. كانت غارقة في أفكارها تنظر بشرود من نافذة غرفتها إلى المقابر بشكلها الكئيب وشواهدها الرخامية الكثيرة.

وهنا كررت الأم حديثها بصوت متوتر مهزوز قائلة: "يلا يا أينور هنتأخر يا بنتي والعربية تحت البيت مستنيانا"..

وهنا التفتت الطفلة إلى الأم بحدةٍ وبعيون حمراء دموية، ثم صرخت بصوت قاسٍ حاد قائلة: قلتلكم أنا مش هسافر ومش هسيب أوضتي أبدًا فاهمين.. وظلت الطفلة تصرخ بقوة وبصوتٍ حادٍ مرعبٍ لا يتناسب أبدًا مع سنوات عمرها التي لم تتجاوز الحادية عشر..

وهنا غادرت الأم وهي هناء الغرفة مسرعة وهي تبكي وتنتحب بقهره وتشعر بالرعب والتوتر في نفس الوقت من تغيُّر صوت ابنتها الكبيرة نور عينيها وأول فرحتها في الحياة؛ فهي لا تدري ماذا حدث لها، لماذا تغيرت ابنتها هكذا وأصبحت قاسية القلب جاحدة عليها وعلى المجتمع بتلك

الطريقة القاسية.. فقالت هناء من بين دموعها: "أينور مش عايزة تسافر يا فهمي"، ثم انفجرت بالبكاء والنحيب وكان الأب وهو فهمي يقف على باب الغرفة ينظر لابنته بشرودٍ ولا يسمع حرفًا واحدًا مما تقوله زوجته.. فكان غارقًا في ذكرياته، في ابنته الكبيرة أينور، يفكر في حالها وما وصلت إليه الأمور، حين صرخت هناء قائلة: "هنتصرف ازاي يا فهمي؟؟ أينور بتضييع مننا بتضييع هنعمل إيه؟ هنسيبها كدة.. دي أينور يا فهمي أينور"، ثم انفجرت هناء في بكاء هستيري ونحيب.. وتذكَّر الأب الأحداث التي أوصلت ابنته لهذه الحالة.. تذكر الحج عدلي السمسار ابن عم زوجته.. وتذكر ذلك اليوم المشئوم الذي بدأ فيه كل شيء.. وبدأ الصوت يتكرر في عقله يذكِّره ببداية هذه القصة.. وتلك الجملة تتردد في ذهنه ببطء.. "دي لُقطة يا فهمي صدقني هتدعيلي". وتذكر تلك الليلة وسرح بذكرياته مع عدلي ابن عم زوجته.

والبداية...

***

البداية

في منزل فهمي كان يجلس مع قريب زوجته يتحدثان بجدية ويعلو صوتهما فقال عدلي: والله لُقطة لُقطة يا فهمي صدقني هتدعيلي. فيردّ فهمي علية قائلًا: أنا خايف يا عدلي يكون البيت قديم ولّا هيقع. فصمت قليلًا ثم أكمل قائلًا بحيرة: يعني أحط كل اللي حيلتي في بيت مش ضامنة ولا عارف عنه حاجة يا عدلي.

فيرد عدلي بصدقٍ قائلًا: والله يا فهمي يا اخويا أنا لولا العِشرة اللي بينا وعارف ظروفك وظروف شغلك أنت وبنت عمي هناء وقد إيه نتم بتتعبوا في المواصلات والله ما كنت قلتلكم على الشقة دي أبدًا، وكنت أخدتها لنفسي، دي لُقطة يا فهمي لُقطة، هي في شقة تمليك وفي المكان ده بالسعر ده يا رجل..

فيردّ فهمي حائرًا بقلقٍ: ما هو ده اللي مخوفني يا عدلي أصحابها عايزين يبيعوها ليه بالسرعة والسعر ده؟؟!!

وهنا ردّ عدلي قائلًا بسرعة: يا راجل ما انا قلت لك إنهم مهاجرين كنكا تقريبا والله ما عارف اسم البلد اللي مسافرينها إيه؟

فضحك فهمي قائلًا: كنكا إيه يا عدلي تقصد كندا.. (ثم صمت دقيقه يفكر) ثم أكمل حديثه قائلًا: أنا مش مرتاح لصاحب الشقة خالص..

فقال عدلي: و إنت مالك بصاحب الشقة يا فهمي انت هتنسبه ولا إيه؟؟ إنت هتشتري الشقة منه وخلاص مش هتشوفه تاني لأنه هيهاجر للبلد اللي ملهاش إسم دي..

وفي تلك اللحظة، دخلت هناء وهي تحمل أكواب الشاي وسمعت حوارهما، فقالت هناء برجاء: قولّه يا عدلي يا ابن عمى خلينا بقى نسكن في مكان قريب من الشغل عشان أنا قرفت وزهقت من زحمة المواصلات والبهدلة في الأتوبيسات.. تصدّق يا عدلي الشقة دي من وصفك يا دوب تلت دقايق مشي للشركة اللي شغّالين فيها وكمان قريبة أوي من

مدارس الأولاد، حد يلاقي فرصة زي دي وميمسكش فيها بإيديه واسنانه، وافق يا فهمي اعمل معروف..

فيرد فهمي عليهما بقلق: والله انا مش مرتاح للراجل صاحب الشقة.. في حاجة مش مطمناني مش عارف ليه شكله كدا مش طبيعي أبدًا..

وهنا ردت هناء بعصبية: بقولك إيه يا فهمي إحنا مش هننسبه على رأى عدلي.. كبر بقى دماغك ونشوف مصلحتنا فين ونعملها.. والرجل كدا كدا مهاجر استراليا ولّا كندا يعني مش هيرجع تاني ومش هنشوف وشه إلا وقت كتابة العقد و استلام الشقة.. تعالى نروح ونتفرج على الشقة.

وناخد الأولاد و اللي فيه الخير يقدّمه ربنا بس أنت انوي وصفّي نيتك يا فهمي عشان ربنا يسهلها..

و هنا كرر عدلي قائلًا: والله دي لُقطة لُقطة يا فهمي صدقني هتدعيلي..

فردَّ فهمي قائلًا: تصدق بالله حاسس إني هدعي عليك يا عدلي مش عارف ليه؟

وصمت فهمي وهو يشعر بأن تلك الشقة ستغيّر حياته، وقبل أن نتعرف على احداث القصة وماذا حدث مع فهمي وأسرته...؟

لنتعرف أولًا على هذه الأسرة الصغيرة المكوّنة من خمسة أفراد وهم:

هناء "الأم": 43 سنة متوسطة الجمال، محاسبة في شركة..

فهمي "الأب": 46 سنة رجل كأي رجل مصري، محاسب بنفس الشركة.. والاثنان يكافحان لتحسين مستوى المعيشة، ولكن للأسف عندما ينجحان في تحسين أوضاعهما بعض الشيء ترتفع الأسعار من جديد، ويعودا معًا لنقطة الصفر من جديد ليبدأ منها؛ فكانت الشقة الجديدة هي الفرصة الوحيدة التي استطاعا الحصول عليها..

فكانا يسكنان في شقة صغيرة في منطقة شعبية تبعد عن مكان عملهما ساعتين بالمواصلات هذا إن وجدا مواصلات خالية من الأساس.. وكان كل أملهما أن ينتقلا إلى شقة أوسع وقريبة من مكان عملهما.. فهما الاثنان يعملان محاسبين في شركه قطاع عام.. والشركة تبعد عن الشقة الجديدة ثلاث دقائق سيرًا على الأقدام، فكانت الشقة الجديدة هي الأمل لحياة جديدة بدون تعب ومجهود وزحام و بهدلة المواصلات.

أما أبناؤهما فهم: الابنة الكبرى: أينور 11 سنة.. في الصف السادس الابتدائي، فتاة رقيقة وطيبة القلب تشعر معها وكأنها ملاك ولا ينقصه إلا الجناحين ليرفرف بهما ويطير في السماء.. تعشق اللون الأبيض في جميع ملابسها.. تحب الجميع وتفضلهم على نفسها.. سمراء اللون كأمها ذات عينين بنيتين وأهداب طويلة وشعر أسود قصير.

الابنة الوسطى: إيناس 7 سنوات في الصف الثاني الابتدائي، فتاة جميلة.. تمتلك عيون زرقاء واسعة وذات بشرة بيضاء، وخدين ورديين، ولكنها دلوعة الأسرة وتحب نفسها قليلًا.

الابن الأصغر: إيهاب 5 سنوات، في الروضة، وهو آخر العنقود كما يقولون.. طفل جميل يشبه إيناس في كل شيء وكأنهما توأم متماثل، ولكنه يحب أخته الكبرى أكتر ومتعلق بها جدًا.

فكانت أسرة متوسطة مثلها مثل معظم الأسر المصرية: بالكاد يستطيعون توفير مصاريف الطعام والشرب والملبس ومصاريف التعليم و الدروس الخصوصية والإيجار لآخر الشهر.. وبعد المحايلات والشد والجذب، استطاعت هناء إقناع الزوج بالشقة الجديدة وقررت الأسرة الذهاب لرؤية الشقة.

وفي الطريق للشقة الموعودة وفي سيارة عدلي، كانت تجلس الأسرة.. فهمي بجوار عدلي في الأمام، وفي الخلف هناء والأطفال الثلاثة.. فقالت إيناس بتذمر: خلاص وصلنا ولا لسه يا عمي عدلي.. أنا زهقت أوي وعطشانة..

وهنا يتنهد فهمي قائلا: إصبري يا إيناس، إصبري مش قادرة تستحملي خمس دقايق؟؟

فردَّت إيناس بفرح: لا يا بابا، أنا عاوزه أشوف شقتنا الجديدة بسرعة عشان أنا لازم يكون ليا أوضة لوحدي..

وهنا ردت هناء بغضبٍ: يا سلام و إخواتك يناموا فين يا إيناس هانم ؟؟

فترد إيناس بغضب: طيب يا ماما على الأقل سرير لوحدي مش عاوزه أنام جنب حد تاني أبدًا.. اتفقنا؟؟

وهنا ردّت أينور بضيق: يعني يا إيناس مش عايزه تنامي جنبي وانا اللي مستحملاكي وكل شويه اصحي من عز نومي أغطيك من البرد.. شوفي مين بقى اللي هيغطيكي ويهتم بيكي تاني..

وهنا نظر فهمي إلى ابنته أينور بحُبٍ، ثم ردَّ قائلًا: والله يا أينور يا بنتي، إنتي اللي مريحاني.. ربنا يريّح قلبك يا رب ويسعدك لا بتطلبي كل شويه طلبات زي إخواتك ولا بتزعجي حد.. عاملة زي النسمة يا بنتي.

فقالت أينور بحب: ربنا يخليك لينا يا بابا.. وميحرمناش منك أبدًا يا رب. وفي تلك اللحظة قاطعهما عدلي باهتمام قائلًا: خلاص وصلنا يا فهمي، العمارة أهي اللي على إيدك اليمين..

وينظر له فهمي بغضبٍ شديدٍ ثم يرد قائلًا: إنت بتهرَّج يا عدلي؟؟ بذمتك دا البيت اللي فيه الشقة؟؟

فيردّ عدلي بتعجُّب: أيوة ماله بقى البيت يا أستاذ، زي الفل أهو ويفتح النفس؟

فقال فهمي: البيت شكله نضيف وفخم أوي.. شقة في عمارة زي دي استحالة يكون تمنها 20 ألف جنيه.. دا سعرها يعدي الربع مليون جنيه.. إنت بتهزر يا عدلي صح ؟؟

وهنا يبتسم عدلي ثم يرد قائلًا: مش قولتلك لُقطة يا فهمي يا اخويا لُقطة وهتدعيلي.. إنت أكيد الست والدتك كانت دعيالك.. الشقة دي فرصة العمر يا فهمي لازم تمسك فيها بإيديك واسنانك..

وهنا قالت هناء بشكٍ: معقول يا عدلي شقة في عمارة زي دي يكون ده سعرها، أكيد في حاجة مش طبيعية في الموضوع..

فردَّ عدلي بضيقٍ قائلًا: إنتوا هتعملوا فيها سماسرة.. ما انا قلتلكم، الراجل مهاجر وعاوز الفلوس بسرعة عشان كدة هيحرق في سعر الشقة..

فصرخت هناء برعبٍ قائلة: يا لهوي ويحرق الشقة ليه؟؟ وإن شاء الله إحنا هنخدها محروقة..

فضحك عدلي قائلًا: محروقة إيه بس يا هناء؟؟ يعني اقصد يخسر في تمنها علشان (مزنوق في قرشين) فهمتي؟؟ يلا بقى الرجل مستنينا عشان ما نتأخرش عليه.. على الله ما يرجعش في كلامه من نبركم وكلامكم الكتير ده.. يا ساتر.. والله ما شفت ناس بتستكتر النعمة على نفسها زيكم.. عيلة عجيبة..

وفي الشقة الجديدة، رنَّ جرس الباب ففتح الباب رجلٌ رفيع لدرجة مثيرة للدهشه فكان كخِلّة الأسنان ورأسه أصلع من الأمام وقمحيّ اللون ذا أنفٍ طويلٍ ويغطي عينيه ببدية باستمرار، ورحَّب بالأسرة قائلًا: إتفضلوا يا جماعة، أنا نادر السلاموني أهلًا وسهلًا..

وقبل أن يخطوا أحدٌ خطوة واحدة، دخلت إيناس إلى داخل الشقة مسرعة، وقالت بفرحٍ: هي دي الشقة يا بابا، أنا عاوزة اشوف أوضتي الجديدة بسرعة ورد إيهاب بصوتٍ عالٍ: وانا كمان فين أوضتي؟؟

وهنا نظرت الأم بغيظ إلى أطفالها ثم قالت هناء: عيب كدة يا إيهاب انت وإيناس.. ويبتسم نادر قائلًا: سيبهم يا مدام واتفضلوا اتفرجوا براحتكم البيت بيتكم ومش هنختلف على السعر إن شاء الله..

فنظر فهمي بتعجُب إلى ذلك الرجل الغريب الذي كان يتجه إلى باب الشقة مغادرًا، فقال فهمي متعجبًا: طيب مش تفرجنا على الشقة الأول يا أستاذ نادر وبعدين نتكلم في السعر.. وهنا يشعر نادر بالارتباك ويحكّ أنفه بطريقه مريبة.. ثم يرد نادر قائلا بصوت متوتر: صدقني يا أستاذ فهمي أنا تعبان جدًا ومبستحملش الوقوف الكتير.. أصل انا عندي دوالى في رجلي وما بقدرش أقف كتير.. إتفرجوا براحتكم ومعاكم الحج عدلي الخير والبركة واعتبروا البيت بيتكم والشقة شقتكم، والسعر مش هنختلف عليه يا أستاذ فهمي.. وشوف اللي أنت عاوزه وأنا موافق عليه..

وعند تحرُك فهمي وأسرته لمشاهدة الشقة الجديدة استوقفهم نادر معتذرًا فقال:

آسف يا جماعة ده ميعاد الدواء بتاعي ونسيت اجيب الأقراص معايا فهنزل اشتريه من الصيدلية اللي تحت البيت..

وهنا لاحظ الجميع انه كان يحك أنفه وهو يتكلم بطريقة تثير الشك، فأكمل نادر حديثة قائلًا: إتفرجوا براحتكم ومفتاح الشقة اهو.. إتفضل يا حج عدلي.. لما تخلصوا اتصلوا بيا وانا هقابلكم تحت العمارة لأني مبقدرش اطلع السلم.. بيتعبني.. الدوالي بقى زي ما انتوا عارفين..

وأسرع بالرحيل وهو مرتبك يكاد يكون يجري، وفتح الباب واختفى مسرعًا وترك وراءه الكثير من علامات الاستفهام والحيرة في عقول الحاضرين.

فقال فهمي بحيرة:

- قولتلك يا عدلي الراجل ده مش طبيعي، في حاجة في الشقة مش طبيعية أبدًا.. وبعدين سلم إيه اللي هيطلعه ما العمارة فيها أسانسير ؟؟

وهنا إرتبك عدلي قليلًا ولم يرد بل هز رأسه بقوة وتنهد وكانت يده اليسرى ترتعش قليلًا..

فقالت هناء بقلق: أحسن تكون الشقة مسروقة يا فهمي بجد الرجل غريب أوي، حد يسيب شقة بالجمال والحاجات الغالية اللي فيها دي مع ناس ما يعرفهمش كدة ويمشي بالسهولة دي.. في حاجة مش طبيعية أبدًا انا الحاسة السادسة عندي متكذبش أبدًا.

وفي تلك اللحظة يحاول عدلي أن يخفي وجهه بيده التي مازالت ترتعش قليلًا، فقال عدلي بصوتٍ عالٍ:

الرجل قال إن ده ميعاد الدواء ونسي يجيبه معاه، إنتوا بتكبّروا المواضيع ليه بس؟؟ دي شقة لُقطة صدقني يا فهمي وهتدعيلى..

وهنا تتكلم هناء بشكٍّ: جايز يكون نسى الدواء فعلًا.. بلاش نظن السوء في الرجل، ونظرت بإنبهار الى اساس الشقة الفاخر ثم قالت : شايفين الفرش عامل إزاي إحنا ما كناش عايشين يا فهمي.. إلا هو هيسيب

الفرش ده يا عدلي؟؟ إحنا ممكن نشتريه منه ما هو كدة كدة مهاجر يعني هيحتاجه في إيه؟؟ دي هتبقى فرصة العمر..

ويهز عدلي رأسه وهو يبتسم قائلًا: هشوف كدة يا هناء واتكلم معاه نشتري الشقة كلها بفرشها..

فتبتسم هناء وهي مبهورة بالشقة الجديدة : الصالة كبيرة، و3 أوض واسعين.. الصراحة حلوة وفرشها غالي..

وفي تلك اللحظة فتحت هناء إحدى الغرف المغلقة وشهقت بقوة قائلة: يا ساتر حد يلوّن الحيطان اللون الكئيب ده.. بنفسجي غامق. يا ساتر.. وكمان الأوضة دي فاضية مفهاش فرش خالص إشمعنى الأوضة الكئيبة دي مش فرشنها حاجة غريبه أوي..

فيردّ فهمي قائلًا: يمكن ماكانش حد بيدخلها ولا محتاجينها في حاجة يا هناء فسبوها كدة فاضية زي ما هي.. جايز..

و في تلك اللحظة دخلت أينور الغرفة الخالية من الأثاث فلقد لفت نظرها لونها البنفسجي الغامق، وفتحت النافذة المغلقة لتنير الحجرة المظلمة ونظرت من النافذة وشاهدت مبانٍ كثيرة قصيرة بيضاء من الرخام وصرخت أينور تنادي على أمها وأبيها.. فدخلت الأم مسرعة إلى الغرفة وهي تتساءل بقلق قائله: فيه إيه يا حبيبتي مالك بتصرخي ليه؟؟ ثم دخل فهمي خلف زوجته بعد قليل ليرى لماذا تصرخ ابنته أينور التي

كانت تشاور من النافذة بيديها على شيءٍ بعيدٍ وتتساءل بشرودٍ قائله: إيه ده يا ماما؟؟

وهنا نظر الوالدان من النافذة المفتوحة إلى ما تشير له الطفلة.. وكانت تشير إلى مقابر كثيرة.. وكأن الغرفة مبنية وسط المقابر وشعرت هناء بقشعريرة في جسدها وبرودة في أوصالها

و ردَّ الأب بقلق قائلًا: دي يا أينور مقابر..

فتساءلت أينور بشرود قائلة: يعني إيه مقابر يا بابا؟؟

فردَّ فهمي بتأثُّر قائلًا: يعني اللي بيموت يا أينور بيدخل القبر اللي هو المكان ده.. وشاور الأب بإحدى يديه إلى المقابر الكثيرة المتناثرة التي تطل عليها نافذة الغرفة..

فنظرت أينور بتمعُّن إلى تلك المقابر ثم قالت بحزمٍ: أنا عاوزة الأوضة دي تكون أوضتي يا بابا لو سمحت..

وهنا صاحت الأم بصوتٍ عالٍ قائلة: يلا يا فهمي انا اتشائمت من الأوضة دي.. ده الواحد كأنه عايش وسط المقابر والميتين يا ساتر يارب يلا نخرج.. إنتوا عاجبكم المنظر ولا إيه؟؟

فردَّ عدلي الذي دخل بعد سماع صراخ أينور من الغرفة فقال: في إيه يا هناء يا بنت عمي مالك ما إنتي عارفة إن الموت علينا حق وكلنا مسيرنا ندخل القبر.. في إيه؟؟ مالك اتغيرتي كدة لما شُفتي المقابر؟؟

فردّت هناء بتوتر قائلة: مش عارفة يا عدلي حاسة إن في حاجة غلط في المقابر دي.. مش عارفة إيه بس قلبي اتقبض وخلاص من منظرها..

فردّ فهمي بشرود و هو يفكر: علشان كدة نادر ما كنش حاطط أي فرش في الأوضة دي وكأنها مش موجودة والله ربح نفسه إحنا ممكن نعمل كدة بردو.. ناخد أوضة للأولاد.. وواحده لينا.. والتالته مش محتاجينها.. إيه رأيك يا هناء؟؟

فصرخت أينور مقاطعة لهم فقالت بحدة: أنا قلتلكم الأوضة دي هتكون أوضتي، إنتوا ما بتسمعوش الكلام ليه؟؟

فتتكلم الأم بعصبية قائلة: إنتي إزاي تكلمي بابا بالطريقة دي يا أينور؟؟ فخفضت الطفلة صوتها: أنا آسفة يا بابا.. أنا آسفة يا ماما.. بس الأوضة دي هي اللي عجباني.. وقلتلكم إنها أوضتي..

فردّ عدلي وهو يبتسم بثقة: والله جدعه يا بنتي وبمِية راجل وعد منّي دي هتكون أوضتك يا قمر..

وابتسم بمكر ابتسامة غريبة..

وتساءلت الأم عن طفليها الآخرين إيناس وإيهاب أين ذهبا؟؟ فنادى الأب على طفليه وجاء إليه مسرعان وانضما للجميع، فسألتهما الأم عن رأيهما بالشقة الجديدة، فردّت إيناس بفرحة شديدة قائلة: تحفة يا ماما جميلة أوي.. وواسعة كمان وهعرف العب براحتي..

وهنا ردّ إيهاب بقلق قائلًا: بس فيها نمل كتير.. وكله ميّت وانا بحب أموّت النمل.. وكده مش هلاقي نمل أموته..

فردّت الأم باهتمام قائلة: نمل إيه يا إيهاب وهو فين بالظبط؟؟ تعال وريهولي كدة يا ابني.. إنت عارف اني بكره الحشرات كله إلا النمل..

فقاطعتهما أينور سريعًا: إنتي هتصدقي إيهاب يا ماما يلا نتصل بأستاذ نادر قبل ما يمشي ونتفق على سعر الشقة..

و هنا فقاطعتهم إيناس بحيرة قائلة: لا يا أينور بجد في نمل كتير جدًا، وكله ميت.. حاجة غريبة بجد هو النمل ده مات إزاي يا ماما؟؟

و في تلك اللحظه نظرت أينور لأختها نظرة كريهة بعينين غريبتين، ثم قالت بصوت حاد: قلت خلاص مش عايزين نشوف حاجة فهمتي ولا لسه؟؟

شعرت إيناس بالرعب من عيني أينور، وأسرعت تختبئ خلف والدها، فلقد شعرت أن هناك شيئًا غريبًا في عينيْ أختها وكأن لونها تغيّر قليلًا.. لا تدري ماذا حدث، ولكنها شعرت وكأن تلك الفتاة ليست أختها ولا تمت لها بصلة.. واتصل عدلي السمسار بالأستاذ نادر وأخبره بأنهم سيأخذون الشقة.. وفوجئ عدلي بأن نادر سيترك كل الأثاث وبنفس السعر.. و لم يزد قرشًا واحدًا على المبلغ المتفق عليه..

وهنا اندهش فهمي بشدة فقال متعجبًا: معقول يا عدلي، أنا مش مصدق؟؟ إزاي يعني؟؟ هو الرجل ده بيلاقي فلوسه في الشارع ؟؟

فردَّ عدلي: إنت حظك من السما يا رجل ,أنا قولتلك دي لُقطة لُقطة يا فهمي يا اخويا لُقطة ومتتفوتش وهتدعيلي..

فردّت هناء وهي تضحك بسعادة قائلة: وأخيرًا هنرتاح ونعيش شوية يا فهمي إحنا والأولاد.. بدل الأوضة والصالة اللي احنا كنا محشورين فيهم الحمد لله يارب..

وهنا تساءلت أينور وعيناها تلمعان بإنفعال قائلة: إمتى هننقل للشقة الجديدة يا بابا ؟؟

فردَّ فهمي قائلًا: لما ندهن الشقة ونوضبها شوية يا حبيبتي..

فقالت أينور: أنا مش عاوزة ابيَّض أوضتي يا بابا.. لونها عاجبني كدة.. متدهنهاش أي لون لو سمحت..

فتعجَّب الأب قائلًا: ليه يا أينور إنتي يا حبيبتي مبتحبيش الألوان الغامقة دي وبتحبي اللون الأبيض ؟؟

فأجابته ابنته بأنها لا تريد أن تكلفه أي مصاريف وأنها لا تريد أن تحمّله أكثر من طاقته.. فردَّ فهمي متأثرًا: طول عمرك حنينه وقلبك عليا يا أينور يا بنتي.. وهنا ابتسمت أينور وتغيَّر لون عينها قليلًا للون البنفسجي.. ولكن للأسف لم يلاحظ أحدٌ تغيُّر لون عينها.. ربما لو لاحظوا لكانوا فكروا مرة أخرى وتأنّوا قليلًا قبل أن يقرروا شراء هذه الشقة المشئومة أو الانتقال إلى البيت الجديد.. البيت المشئوم..

الفصل الثاني

في الشقة المشئومة

قبل الانتقال للشقة الجديدة، جلس فهمي يفكر في كل شيء.. لم يكن مطمئن القلب لتلك الشقة أو لصاحبها المدعو نادر هذا.. هناك أمرٌ مريبٌ يتعلق به وبشقته.. ولكنه لا يدري ما هو ؟؟ربما لون عيني نادر البنفسجي لا يدري؟ فهو لم يقابل في حياته أحدًا بنفس لون العين البنفسجية.. هذا أمرٌ غريبٌ حقًا لقد كان نادر يحاول أن يداري عينيه باستمرار، ولكنه شاهدهما بوضوح وهو يكتب عقد الشقة..

أسئلة كثيرة كانت تراوده وتجول بخاطره.. ربما هي شقة مسروقة..

أو عقدها مزوَّر.. كان فهمي يشعر بأن نادر يكذب.. ولكنه لا يعلم فيما يكذب.. ظلَّ يفكر ويسرح بأفكاره ولاحظت زوجته تغيُّر حاله وسرحانه المستمر فسألته زوجته عما يشغل باله وفيما يفكر؟ فردَّ عليها فهمي قائلًا بقلق: مش مرتاح يا هناء وقلبي مقبوض أوي من الشقة الجديدة وعدلي كمان حاسس انه كان متغير.. فيه حاجة غريبة بس مش عارف هي إيه. إنتي ما لاحظتيش إنه كان بيحاول يخبي عينيه بإيده معظم الوقت وإيده الشمال كانت بترتعش كل ميتكلم..

فردَّت هناء مبتسمة: إنت مكبّر الموضوع أوي يا حبيبي.. عدلي كان طبيعي جدًا، وكمان يا فهمي دي شقة لُقطة بسعر لُقطة وماصدقنا ان صاحبها وافق وكمان هيسيب الفرش يعني فرصة العمر يا فهمي..

وبعدين عدلي كان كويس ومفهوش حاجة تلاقية كان بردان ولا حاجة. إنت بس بيتهيألك ومدي الموضوع اكتر من حقه متكبّرش الموضع يا فهمي يا حبيبي وأشكر ربنا ..

وهذه هي السيدة المصرية الأصيلة عندما تريد إقناع زوجها بشيء تريده فتبرر كل شيء لصالحها؛ فأقنعت هناء زوجها بأن عدلي كان يرتعد بردًا بالرغم من أنهم في شهر أغسطس وفي عز الحر.

فقال فهمي بشرودٍ يرد على زوجته وهو يضع يده أسفل ذقنه: أمي الله يرحمها يا هناء كانت ديمًا تقول اللي بيتكلم وهو بيهرش في أنفه بيقى كذاب أو مخبي حاجة.. ونادر طول الوقت عمال يهرش في أنفه يا هناء.. حاسس انه مخبّي سر أو إنه مش هيهاجر مش عارف؟؟

وتضحك هناء متعجبة من كلام زوجها فترد قائلة: يهرش في أنفه إيه بس يا حبيبي.. أنا بقى أمي ربنا يديها الصحة ويطول عمرها كانت تقول لي اللي بيكذب أنفه بتطول زي كرتون بنوكيو.. معقول هنصدق الخرافات دي يا فهمي بلاش تستكتر علينا الشقة.. قول ما شاء الله.. ما يحسد المال إلا اصحابه يا فهمي..

ويفكر فهمي ثم يرد عليها قائلًا: مش هرتاح غير لما نادر ده يهاجر وننقل في الشقة الجديدة.

فتردّ هناء: إن شاء الله يا...

فقطعت كلامها أينور التي دخلت إلى الغرفة دون استئذان فقالت بثقة: ما تخفش يا بابا مش هتشوف نادر ده تاني أبدًا..

وهنا تشعر هناء بالضيق فتقول بصوتٍ عالٍ: إزاي يا أينور تدخلي من غير ما تستأذني.. عيب كدة يا بنتي..

ويتجاهل فهمي زوجته ويسأل ابنته قائلًا: و إنتي عرفتي منين إننا مش هنشوف نادر تاني يا أينور..؟ فتبتسم أينور ابتسامة غريبة وعيناها تلمعان بشدة وترد قائلة: أينور بتعرف كل حاجة يا بابا.

وأسرعت تغادر الغرفة لتشاهد التلفاز مع أخويها إيناس وإيهاب بالخارج.. وهنا ينظر فهمي بحيرة لزوجته ثم يتساءل بحيره قائلًا: هناء هي عين أينور لونها اتغير شوية ولا انا بيتهيألي

فتردّ هناء بضيق: يوووه يا فهمي.. مالك بس النهاردة.. إنت كمان نظرك ضعف؟؟ انت لازم تغيّر النظارة يا حبيبي هو فيه حد لون عينه بيتغير يا فهمي؟؟

***

في الشركة التي يعمل بها الأب والأم.. تجلس هناء على مكتب قديم متهالك أمامها وتدفن رأسها في كومة من الأوراق وهي تحاول إنهاءها. وفي تلك اللحظة تدخل هالة إلى الغرفة وهي إحدى زميلات هناء بالشركة وتتكلم بحقدٍ قائلة: أخبارك إيه يا هناء؟؟ عاملة إيه؟؟ مبروك الشقة الجديدة.. وضغطت على حروف كلماتها بقوة وهي تكمل كلامها قائلة: أنا سمعت إنها جنب الشركة.. عقبالنا إحنا كمان لما نلاقي حاجة قريبة.. ونقلتي ولا لسه؟؟

فردّت هناء وهي ترفع كفها بأصابعها الخمسة في وجه زميلتها: لسه منتقل الأسبوع اللي جاي إن شاء الله يوم الخميس عقبالك يا هالة.. ربنا يستر.. ومتحصلش حاجة..

وفي تلك اللحظة فُتحَ باب الغرفة بقوة ودخل فهمي ووجه أصفر كالليمون ويمسك جريدة في يديه فصرخت هناء برعب قائلة: فيه إيه يا فهمي؟؟ مال لونك مخطوف كدة؟؟ إيه اللي حصل حد من الأولاد حصل له حاجه؟؟ إتكلم..

و لم يردّ فهمي بل فتح إحدى صفحات الجريدة التي كان يمسكها وكانت صفحة الحوادث وشاور على أحد الأخبار بالجريدة بأصابعه..

(مقتل رجل في العِقد الرابع من عمره والتمثيل بجثته)

عثر أهالي منطقة... على جثة رجل مقتول وممثَّل بجثته وقاموا بإبلاغ الشرطة وانتقل على الفور كلٌ من المقدم... وتم معاينة الحادث واكتشفت الشرطة اختفاء بعض أجزاء الجثة وهي العينان والقلب والطحال وجزء من المرارة وتم التعرف على المجني عليه من خلال تحقيق إثبات الشخصية وهو المدعو نادر السلاموني المقيم في محافظة قنا بشارع...

وهنا شعرت هناء بالصدمة الشديدة وتقلصت أمعاؤها بقوة ثم قالت برعب: معقول ده هو نادر صاحب الشقة.. أنا مش فاهمة المفروض يكون دلوقتي في كندا..

ويرد فهمي بعصبية وبصوتٍ عالٍ: نادر اتقتل بس يمثلوا بجثته و يشوهه ليه يا هناء؟؟

فترد هناء بسرعة بصوت منخفض قائلة: وطي صوتك إحنا ملناش دعوة يا فهمي، إحنا اشترينا الشقة ودفعنا فلوسها وخلاص.. ومعانا العقد والمفتاح وبعدين دول كاتبين انه ساكن في محافظة قنا يعني محدش هيجي ويسألنا عن حاجة واحنا مالناش دعوة بالموضوع دا أبدًا يا حبيبي.

فردَّ فهمي بقلق: إنتي شايفة كدة ؟؟

فردَّت هناء بسرعة: أيوة هو ده الصح، إحنا ملناش دعوة بحاجة يا فهمي متفتحتش علينا أبواب جهنم وسين وجيم وإحنا مش ناقصين.. أنا عارفة كل ده من عيون الناس اللي ما بترحمش.. وزفرت بقوة ثم ألقت نظرة سريعة على مكتب زميلتها هالة التي كانت تحاول التصنت والاستماع إلى ما يدور بينهما من حوار..

***

وبعد مرور شهر من تلك الأحداث..

انتقل فهمي وأسرته إلى الشقة الجديدة.. وكانت هناء سعيدة جدًا بانتقالها، وأخيرًا أصبحت قريبة من مكان عملها.. بالإضافة للشقة الجديدة الواسعة التي لم تكن تحلم بها.. ولكن قلق فهمي وشكوكه لم ينتهوا..

فهمي بقلقٍ يتحدث مع زوجته قائلًا: ما تتكلمي مع أينور وتخلّيها تنام مع اخواتها في الأوضة التانية.. دي من ساعة ما وصلنا وهي واقفة في الشباك تتفرج على المقابر وسرحانة مش عارف بتبص على إيه بس؟؟

فردت هناء: واخدة بالي يا حبيبي.. كلمتها كتير وغلبت معها.. لكنها اصرت على الأوضة دي ورافضة أي أوضة تانية..

وهنا يتنهد فهمي بضيقٍ قائلًا: خلاص كلّمي إيناس تنام معها عشان ما تخفش بالليل دي أكيد بتحلم بكوابيس.

تتنهدت هناء بهدوء قائلة: حاضر يا فهمي حاضر. ونادت الأم على ابنتها إيناس وطلبت منها أن تنام مع أختها أينور في الغرفة الأخرى التي تطل على المقابر، فردت إيناس برعبٍ حقيقي قائلة: لا انا هنام مع إيهاب .

فنظر لها فهمي بتعجب ثم تساءل قائلًا: ليه يا إيناس يا بنتي هي أينور زعلتك في حاجة ولا إيه؟؟

فردَّت إيناس: لا بس مش هنام معها.. وهنا تقول هناء بصوت عالٍ: ليه يا إيناس إنتي ما بتحبيش أختك ولا إيه؟؟ تبكي إيناس وترتعش وهي تتكلم: علشان أينور.. علشان أينور...

لم تكمل إيناس جملتها حين دخلت أختها أينور الغرفة وهي تنظر لها، وتبتسم قائلة: مالك يا إيناس بتعيطي ليه؟؟ وظلت تنظر لعينيْ أختها الزرقاء بتحدٍّ وسألتها بهدوءٍ وثقة: لو في حاجة قوليها قدامنا كلنا.

فردَّت هناء: أينور إنتي زعَّلتي اختك في حاجة.. . إنت..

وهنا قطعت كلامها إيناس مسرعة وهي تقول برجاء: لا يا ماما، انا بحب أختي أينور وهي مزعلتنيش في حاجة بس عاوزة أنام مع إيهاب.. و هنا لاحظ الأب تغيُّر لون عين أينور وقال محدثًا نفسه: "معقول يكون نظري ضعف أوي كدة.. أينور عينها بني غامق وشعرها اسود قصير.. وبشرتها سمرا زي والدتها بالظبط صورة طبق الأصل من هناء.. عكس اخواتها.."

ظلّ فهمي يحدِّث نفسه عن كيفية تحوُّل عين أينور من البني للبنفسجي، وحاول إقناع نفسه أن هناك مشكلة في الإضاءة أو أن نظره هو الذي ضعف.. ولكنه تساءل عن لون عين الأستاذ نادر ؟؟..فهي كانت تقريبًا بنفسجي اللون أيضًا، وهذا ما لفت نظره في لقائه الأخير مع نادر.. إنه أمر غريب بالفعل.. ظلّ فهمي يفكر وهو شارد الذهن وهنا التفت إلى ابنته أينور بجِدَّة فوجدها تبتسم ابتسامة صفراء وهزَّت رأسها موافقة.

وكأنها كانت تسمع أفكاره وتكلمت بهدوء وثقة قائلة: صح يا بابا كان لونها بنفسجي..

ثم أطلقت ضحكة عالية تردد صداها في أذن فهمي الذي شعر بالقلق والحيرة.

الفصل الثالث

في مدرسة أينور

كانت أينور تقف مع صديقتها الوحيدة منذ أن دخلت المدرسة: وهي ريهام صديقة عمرها ورفيقة دربها، وهي تشعر بحيرة من أمر أينور.. فقالت ريهام بقلق لصديقتها: مالك يا أينور في حاجة مزعلاكي؟

فردّت أينور قائلة: بتقولي كدة ليه يا ريهام ؟؟

ريهام: إحساسي إنك بقيتي واحدة تانية فيكي حاجة متغيرة يا أينور.. عندي إحساس إنك مش أينور صديقة عمري من الحضانة لحد السنة دي.. وهنا قاطعت أينور حديثها بحدة ثم صاحت بغضب في وجهها قائلة: اسكتي يا ريهام بلاش تكرري الكلام ده.. أحسن ليا وليكي صدقيني.. اسكتي خالص.. لو خايفة على نفسك..

فردّت ريهام: لا يا أينور مش هسكت. إنتي صاحبتي من سنين طويلة وعاوزة اعرف في إيه مالك؟؟ إيه اللي بيحصل لك؟؟ ما بتحضريش درس الإنجليزي وبتغيبي من المدرسة كتير ليه؟؟ ما تزعليش منّي انا اتصلت بطنط هناء وقلتلها يا أينور.. كل حاجة.

فقاطعت أينور كلام ريهام بنظرات غاضبة وبصوت مخيف: انتي قولتي لماما على إيه يا ريهام بالظبط؟؟

فقالت ريهام وهي مرعوبة من عينيْ أينور التي تغيَّر لونها إلى اللون البنفسجي وقد تسارعت دقات قلبها من التوتر والرعب ورددت ريهام بأنفاس لاهثة وصوت متقطع وهي تشير إلى عين صديقتها قائلة: أينور.. أينور انتي عينك.. لون عينك.. ولم تكمل ريهام جملتها، فلقد تركتها أينور

ورحلت سريعًا وهي تصيح بصوت عالٍ قائلة: صدقيني هتندمي ندم عمرك يا ريهام على عملتك دي.. ولسانك ده هيتقطع ويتقص..

ثم أطلقت أينور ضحكة عالية مخيفة تردد صداها في المكان وسمعتها معظم الطالبات في المدرسة..

***

كانت هناء تنتظر ابنتها في البيت بعد أن اتصلت بها ريهام صديقتها، وأخبرتها بتغيُّب ابنتها عن الدرس وتغيُّر حالها. هذا حين دخلت أينور من باب الشقة فوجدت أمها ثائرة وغاضبة بشدة..

فقالت هناء: حمد لله على السلامة يا هانم.. سيادتك راجعة لي بعد خروج المدرسة بتلت دقايق بس.. مع إن المشوار بياخد أكتر من نصف ساعة وصمتت قليلًا لتلتقط أنفاسها ثم أكملت قائلة: لحقتي ترجعي من المدرسة؟؟ عاوزة اعرف كنتي فين بالظبط؟؟ وما رحتيش المدرسة ليه؟؟

فترد أينور ببرودٍ شديدٍ قائلة: كنت في المدرسه يا ماما..

هناء بعصبية: لسه هتكذبي عليا يا بنت.. إنطقي كنتي فين؟؟ والله هموّتك من الضرب لو ما قلتي كل حاجة بصراحة..

وتستقبل أينور ثورة هناء ببرودٍ شديد قائلة: قلتلك كنت في المدرسة. والأتوبيس كان واقف.. ركبت ومشي بسرعة.. مش مصدقاني إتصلي

بالأستاذ علاء مدرس العربي.. كان عندي الحصة الأخيرة عربي واتفضلى الكراسات كلها متعلمة والدروس اللي اخدتها.

ثم أخرجت أينور جميع كراستها من الحقيبة.. تفحصت هناء الكراسات بصدمة حقيقية فجميعها عليها علامات وتاريخ اليوم.. ولكنها أصرت على الاتصال بمدرس اللغة العربية الذي أكَّد بدوره أن أينور كانت في المدرسة اليوم.. وشعر المدرس بالحيرة من وصول أينور بمثل هذه السرعة الفائقة قائلًا: غريبة يا مدام هناء باب المدرسة لسه مفتوح من دقايق وهي كانت لسه نازلة مع زميلاتها على السلم قدامي مروحين..

تنهي هناء المكالمة وهي تحاول أن تتمالك أعصابها فقالت بهدوءٍ مصطنع: ماشي يا أينور.. عرّفيني بقى ما بتروحيش درس الإنجليزي ليه؟؟ ريهام صاحبتك كلمتني وقالت لي على كل حاجة..

وهنا لاحظت هناء تغيُّر لون عين ابنتها وبانها تنظر نظرة كره وحقد.. فارتبكت الأم قليلًا وخفضت من صوتها وهي تسأل ابنتها بتوتر قائلة: عاوزة اعرف انتي بتروحي فين يا حبيبتي ومبتروحيش الدرس؟؟

فردَّت أينور ببرودٍ: مدرّسة الإنجليزي شرحها وحش وما بفهمش منها كويس..

هناء :ما قلتيش ليه من الأول كنتي أخدتي عند مدرّسة تانية..

وهنا ترد أينور ببرودٍ قائلة: أنا بذاكر لوحدي ومش محتاجة دروس..

فقالت هناء بعصبية: وكنتي بتروحي فين وقت الدرس. أنا من ساعة ما عرفت وانا هتجنن.. دماغي هتتشل يا أينور.. لازم تقولي لي الحقيقة. إحنا طول عمرنا اصحاب يا بنتي.

وهنا تتنهد أينور ببرودٍ قائلة: كنت بروح اتفرج على الشواهد يا ماما ارتحتي دلوقتي؟؟

فردت هناء بتعجُّب قائلة: شواهد إيه؟؟ تطلع إيه الشواهد دي؟؟

فترد أينور بصوتٍ مخيفٍ وعيناها تلمعان بشدة في المكان قائلًا: الشواهد هي المقابر يا ماما.. ثم أطلقت ضحكة غريبة عالية تردد صداها بصوت مرعب ومخيف فجعل هناء تشعر بالارتباك والخوف لتغيُّر لون عين ابنتها عندما ضحكت وشعرت وكأن عينها مضيئتان...

فردَّت قائلة: قولي لي انك بتكذبي؟ قولي لي الحقيقة ومش هعمل لك حاجة.. ما تخافيش يا بنتي إنتي حبيبتي وطول عمرنا أصحاب وما بنخبيش حاجة على بعض..

تمنَّت هناء أن تخبرها أينور بأنها تكذب وبأنها كانت تخرج مع صديقاتها إلى أي مكان وليس إلى المقابر.. ولكن الطفلة ابتسمت بثقة قائلة: أنا قلت الحقيقة يا ماما، أينور ما بتكذبش أبدًا..

فتردّ هناء بلينٍ ولطفٍ وبصوتٍ منخفض: وليه يا أينور تروحي الأماكن دي مع أصحابك وتعملوا فيها المغامرون الخمسة.. أنا لازم أعرف مين اللي كان بيروح معاكي هناك..

فتتنهد أينور قائلة: ريهام هي الوحيدة اللي كانت بتيجي معيا عند الشواهد..

وهنا تشعر هناء بالحيرة فترد قائلة على ابنتها: طيب لو كلامك صح ليه اتصلت وقالت لي انك بتغيبي من المدرسة والدرس ؟؟

أينور: علشان متخانقين مع بعض وافتكرت إني مخاف أقول الحقيقة لكن أينور ما بتخافش من حد أبدًا..

وهنا تشعر هناء بالضيق من طريقة كلامها المستفزة وقالت: روحي دلوقتي وانا ليا تصرف تاني بكرة إن شاء الله مع أم ريهام.. فتبتسم أينور ابتسامة خبيثة قائلة: إحنا مش هناكل ولا إيه فين الغدا انا هموت من الجوع..

السفرة جاهزة، نادي على أخواتك وكلوا مع بعض.. أنا هستنى بابا لما يرجع من مشواره..

وهنا نادت أينور على أخويها ليأكلا معها ولكنهما رفضا..

وردت أختها إيناس برعب قائلة: إحنا هناكل مع بابا إتغدي انتي يا أينور.. فضحكت أينور ضحكة مخيفة ثم قالت: إنتوا أحرار بس هتاكلي انتي وإيهاب نصيبكم من اللحمة ولا اكله أنا ؟؟

فردت إيناس: بالهنا والشفا يا أينور إحنا ما بنحبش اللحمة..

لاحظت هناء شراهة أينور وهي تأكل اللحوم بطريقة غريبة جدًا.. كما لاحظت أنها في الفترة الماضية أصبحت تأكل نصيب أخوتها ووالدها من اللحوم والطيور بنهمٍ شديدٍ ودون أن تشعر بالشبع..

وهذا في حد ذاته أمر غريب: فأينور طوال عمرها تكره اللحوم ونادرًا ما تأكل منها.. وقفت هناء تتابع أينور وهي تأكل بشراهة، وقالت هناء تحدّث نفسها: مالك يا أينور؟؟ حصل لك إيه يا بنتي؟؟ أنا لازم اعرضك على دكتور نفسي لما يرجع فهمي من مشواره.. هنكلم معه ونشوف حل..

***

أمام باب مدرسة أينور

وقفت ريهام صديقة أينور تنتظر والدها أمام باب المدرسة، وظلت ريهام تنظر إلى ساعة يدها كلما مرت دقائق وتأخر الأب ساعة على ابنته التي شعرت بالقلق وحاولت الاتصال كثيرًا بالأب، ولكنها الرسالة التي تثير حنق الجميع "تأكد من الرقم الصحيح، هذا الرقم غير موجود بالخدمة "كيف يكون الرقم غير موجود بالخدمة وأنت تتصل يوميًا بذلك الرقم ولكن كل شيء جايز مع شبكات المحمول...

فاتصلت الطفلة مرارًا ولكنها نفس الرسالة الصوتية، فقالت لنفسها: أكيد في مشكلة في الشبكة، وقررت الاتصال بوالدتها، ولكنها لم تسمع إلا صوت جرس الهاتف ترررررررننن وصرخت الطفلة بقوة ألووو ألووو.. .....ماما...تششششش..صوت غريب وضحكة عالية وصرخت

الطفلة برعبٍ تنادي على أمها: يا ماما ردى عليا أنا ريهام ولم تسمع إلا..تتتتششششش..وأغلقت ريهام التليفون المحمول، وقالت لنفسها مطمئنة: أكيد عيب في الشبكة خلاص هركب الأتوبيس واروَّح لوحدي وامري لله.

وقفت ريهام تنتظر الأتوبيس في المحطة أمام باب المدرسة، ونظرت يمينًا ويسارًا تنتظر ظهور الحافلة، وهنا لاحظت أن الشارع خالي من المارة فقالت تحدث نفسها بتعجب: حاجه غريبه هي الناس راحت فين ونظرت لساعة يدها دي الساعة لسة تلاتة ونصف المفروض الكل راجع من شغله دلوقتي، وشاهدت الحافلة وشعرت بالارتياح والسعادة فقالت: الحمد لله، الأتوبيس ظهر اهو خلاص، وتعجبت من لون الحافلة فقالت: أتوبيس لونه بنفسجي غامق، اول مرة اشوف اللون الكئيب دا، دايمًا ماما تقول إن اللون البنفسجي لون الكرة والحقد يا ساتر. وفي تلك اللحظة جال بخاطرها صديقتها أينور عندما تغيَّر لون عينها للون البنفسجي وهو نفس اللون البنفسجي للحافلة، واندهشت الطفلة من الصورة الكبيرة على جانبي الحافلة، ولكنها لم تكن تعلم صورة ماذا..؟ لأنها لم ترَ مقابر من قبل في حياتها، وتوقفت الحافلة أمامها ولاحظت ريهام بأنه أتوبيس خالي من الركاب فقالت لنفسها: أنا مش هركب أتوبيس فاضي أبدًا، ماما دايما تقوولي متركبيش مواصلة فاضية لوحدك أبدًا. وظلت الحافلة واقفة مكانها ولم تتحرك، فشعرت ريهام بالرعب فتحركت قليلًا ورجعت للخلف خطوتين فتحركت الحافلة وراءها خطوتين. ظلت ترجع للخلف فترجع الحافلة خلفها وكأنها تتبعها

خطوة بخطوة وتراقبها. شعرت الطفلة بالخوف والتوتر وقالت انا هروح اقول للسواق يمشي أنا مش هركب الأتوبيس دا لوحدي ونادت ببراءة الأطفال على السائق لتخبرة أن يرحل فهي ستنتظر والدها. واقتربت من الحافلة و هنا شعرت بالأيادي السوداء التي جذبتها بالقوة إلى داخل الأتوبيس وصرخت ريهام الحقوو...

ولم تكمل كلمتها فلقد تحرك الأتوبيس سريعًا يسابق الريح وظهرت الصورة الكبيرة المرسومة على جانبيه؛ فكانت صورة كبيرة للمقابر وكُتِبَ تحتها كلمة (الشواهد) واختفى في لمح البصر يسابق الريح تاركًا خلفه بقعة دماء صغيرة على الأرض وبجوارها قطعة لحم حمراء تشبه اللسان تمامًا ربما سرقتها قطة من محل جزارة قريب من المدرسة.. ربما ولكنني نسيت شيئًا هامًا.. أن أخبركم بشهرة الطفلة منذ الصغر.. عن أي طفلة أتحدث....؟ عن ريهام طبعًا وليست أينور؛ فكانت ريهام مشهورة باللسان الأحمر؛ فهي ذات اللسان الأحمر وليس الرداء الأحمر كليلى...

الفصل الرابع

المفاجأة واختفاء الغرفة

كان فهمي يقف أمام باب المصعد ينادي على البواب العجوز عم إمام ويسأله إن كان المصعد به عطل فهو لا يستجيب للنداء. فتعجب البواب العجوز قائلًا: لا يا أستاذ فهمي الأسانسير شغال. دي لسه الأبله الصغيرة بنتك طالعة من ثواني.

وفي هذا الوقت، وأثناء هذا الحوار، ظهر رجل في منتصف الأربعينات له عين ثاقبة وشعر أسود كثيف وكرش كبير وقصير القامة وهو أحد ساكني العقار وتساءل الرجل قائلًا: إيه يا امام الأسانسير لسه عطلان من امبارح متصلتش بالصيانة ليه..؟

فقال إمام بدهشة وهو يضرب كفًا بكف: والله الأبله بنت الأستاذ فهمي لسه طالعة يا أستاذ فتحي وكان زي الفل. حاجة غريبه لحق يعطل في ثواني. هروح اتصل بالصيانة.

فقال فتحي موجِّهًا حديثه لفهمي: حضرتك الساكن الجديد في الرابع مش كدة. نورت العمارة. أنا فتحي المصري محامي وساكن في الشقة اللي تحتك على طول. والله اتشرفت بمعرفتك يا أستاذ...

فابتسم فهمي ومدَّ يدة ليصافحه قائلًا: فهمي السيد محاسب في شركة... وهنا يبتسم فتحي بترحاب قائلًا: معقول دا ابن عمي شغَّال في نفس الشركة. عماد محمود المصري حضرتك تعرفه يا أستاذ فهمي؟

فردَّ فهمي باندهاش: معقول عماد ابن عمك دا أعز أصدقائي بس مجبليش سيرة انه ليه قرايب في نفس العمارة. وبعد التعارف أصر فتحي

على اصطحاب فهمي إلى شقته والتعرف على والده وابنه الصغير. وكانت شقته بالدور الثالث أسفل شقة فهمي مباشرة. ودخل الاثنان إلى الشقة.. وكانت المفاجأة المرعبة تنتظره. فتغيَّر وجه فهمي عند الدخول إلى شقة جاره؛ لقد كانت نفس مساحة شقته تقريبًا ونفس النظام ونفس الحجم للصالة أو الرسبشن كما يقولون إلا أن هناك شيئًا ناقصًا بالشقة.. نعم. إنها غرفة ناقصة أو بمعنى آخر لم تكن موجودة أصلًا وكأنها كرسي وتم إبعاده عن الطريق من الصالة. لم تكن غرفة ابنته أينور موجودة بالشقة. فكان مكانها عبارة عن شرفة صغيرة فدخل فهمي الشرفة وهو مرتبك. فكانت تطل على الشارع العمومي والسيارات تسير مسرعة على الجانبين. ويحاول بعض المارة عبور الطريق فقال فهمي لنفسه متعجبا :فين المقابر وفين أوضة أينور..؟

فقال فهمي بارتباك يتساءل: أستاذ فتحي فين الأوضة اللي هنا مكان البلكونة دي...؟

فينظر له فتحي باستغراب قائلًا: أوضة إيه اللي بتتكلم عنها يا أستاذ فهمي...؟ هي الشقة كدة أوضتين ورسيبشن .

فهمي: بس انا عندي تلات أوض مش اتنين ونفس حجم الصالة تقريبا. وفي أوضة هنا مكان البلكونة دي. ووقف فهمي مرة اخرى بالقرب من الشرفة وهو ينظر إلى فتحي المصري بذهولٍ وعدم تصديق.

فردَّ الأخير بشكٍّ: احتمال يكون أخد جزء من الرسبشن فقفله أوضة تالتة يا أستاذ فهمي مفيش مشكلة.

فهمي: لا الرسبشن عندي نفس مساحة الرسبشن دا بالظبط ومفيش البلكونة دي وكمان بتبص على المقابر وتساءل فهمي متعجبًا: هي كل العمارة في نفس المبنى بلكونات وشقته الوحيدة هي اللي شباك؟!

و هنا دخل إلى الشرفة منفعلًا حانقًا، ونظر سريعًا إلى أعلى المبنى ليتأكد فوجد المبنى كله شرفات واسعة ذات سور دائري وشاهد ابنته أينور في الشرفة بالطابق الذي فوقه مباشرة وتنظر له بتحدٍ وبعينين بنفسجيتيَ اللون وتبتسم بمكرٍ، وهنا صرخ فهمي فزعًا عند رؤيته لأينور ودخل سريعًا إلى الشقة ونظر برعب إلى جاره فتحي ثم تساءل عن مكان المقابر.

فقال فتحي مستعجبًا: مقابر إيه اللي بتتكلم عنها يا أستاذ فهمي..؟

المنطقة هنا مفيش فيها مقابر على ما أعتقد.

المفروض بتركب مواصلة للجبانة لأنها بعيدة شوية، وهسألك والدي يمكن يكون في جبّانة قريبة من المنطقة وانا معرفش. و في تلك اللحظة وأثناء حوارهما ...أتى رجلٌ مسِنّ يتسند على عكاز ومعه طفل صغير ورحب بفهمي وقدَّمه فتحي إليه بأنه الحاج المصري والده، وابنه الصغير عمر.

الحاج المصري:أهلًا أهلًا يا ابني نورتنا والله وحضرتك ساكن في أي دور من العمارة....؟

فردَّ فتحي قائلًا: الأستاذ فهمي جارنا ساكن في الشقة اللي فوقينا في الرابع يا بابا.

وهنا تغيَّر لون وجه الأب قليلًا وظهر عليه التوتر واستأذن ليستريح مدعيًا بإصابته بنوبة مفاجئة من المرض،

فقال فتحي بحرجٍ:أنا آسف يا أستاذ فهمي، والدي مريض بالقلب وبتجيله النوبة دي دايمًا.

فردَّ فهمي بحيرة قائلًا: ألف سلامة عليه وفرصة سعيدة.

وخرج مسرعًا من عند جاره ورأسه ستنفجر من التفكير ويكلم نفسه قائلًا: "معقول اكون بحلم، معقول ميكونش فيه أوضة تالتة في الشقة وأينور إيه اللي وقّفها في البلكونة ودخلت ازاي والمقابر دي إيه حكايتها بالظبط؟."

ولم يتحمل التفكير وأسرع يجري إلى شقته والحيرة والقلق يمزقان كيانه فاستقبلته زوجته بقلقٍ وتساءلت عن حاله ولماذا يبدو عليه القلق ووجهه أصفر كالليمون؟

و هنا تساءلت هناء بقلقٍ قائلة: فهمي مالك لونك مخطوف كدة ليه؟

فلم يجِب فهمي أو يهتم لأمرها وتساءل : هي فين أينور ؟

فردَّت هناء بقلقٍ: نايمة من ساعة مارجعت من المدرسة.

فقال فهمي بشكٍّ: نايمة ازاي يعني، دانا لسه شايفها واقفة... وقطع كلامه ثم ذهب ليتأكد بنفسه وفتح باب غرفة ابنته بقوة فوجدها نائمة وألقى نظرة إلى النافذة فوجدها مغلقة فاقترب وفتحها وشاهد المقابر بمنظرها الكئيب وشواهدها المرعبة، فأغلق الأب النافذة بقوة وألقى نظرة أخيرة على ابنته النائمة ثم ذهب إلى غرفته ليستريح و ينام.

ولكنني أتساءل: هل سيستطيع النوم بعد ما حدث؟ لا أدري حقًا، ولكن دعونا نرى ما سيحدث ...

الفصل الخامس

فستان أبيض ممزق

ظلَّ فهمي يركض خلف ابنته أينور وهي تركض مسرعة وتختفي وسط المقابر بفستانها الأبيض وقدميها العاريتين، ونادى فهمي عليها كثيرًا وظلَّ ينادي قائلًا: إستني يا أينور إستني يا بنتي، أرجوكي متبعديش، إنتي رايحة فين؟ واختفت أينور وسط المقابر وظل فهمي يبحث عنها وينادي بصوتٍ مرتفعٍ: أينورررر وتردد صدى صوته وسط المقابر الكثيرة المتناثرة هنا وهناك... وهنا اقترب فهمي من أحد القبور المفتوحة فنظر متعجبا لا يدري لماذا تُرِكَ هذا القبر مفتوحًا في هذا الوقت بالذات..؟

واقترب أكثر فأكثر من القبر المفتوح وشاهد بعض الكلمات على رخام القبر الملون..

وحاول إزالة التراب الكثير وقراءة الجملة جيدًا فردَّد بصوتٍ عالٍ(شاهد الشواهد اقترب أكثر فتشاهد)

قرأ الجملة باستغراب واقترب أكثر من القبر وهو يكرر الجملة "شاهد الشواهد".. وهنا قطعته أينور وهي تخرج من القبر المفتوح وتصرخ بقوة قائلة: أرجوك اسكت يا بابا متكملش الجملة واهرب بسرعة مفيش وقت قبل مايأخدوا بالهم.

فصرخ فهمي قائلًا: أينور إيه اللي جابك هنا يابنتي تعالي نروَّح على البيت ماما زمانها قلقانة عليكي.

فردَّت أينور بحسرة قائلة: مقدرش اتحرك من الضريح دا يا بابا دا بيتي دلوقتي وانا محبوسة هنا ومقدرش اتحرك من غير استئذان.

فردَّ فهمي بتعجب: استئذان من مين يا بنتي، أنا ابوكى تعالي معايا أرجوكي يا أينور بسرعة نبعد عن المكان الوحش دا .

وترد الطفلة بخوفٍ وصوتها يملؤه الألم: مش هقدر، أرجوك إمشي دلوقتي بسرعة، بلاش حد يشوفك معايا في الضريح يا بابا.

فردَّ فهمي بألم: مقدرش اسيبك هنا يا أينور.

وتصرخ أينور برعبٍ قائلة: أرجوك إمشي قبل ماحد يشوفك أرجوك وانا هزورك كل فترة اطمَن عليك وعلى ماما واخواتي كلهم.

وسكتت قليلًا ثم أكملت ومتثقش في أينور يا بابا أرجوك.. متثقش في أينوررررر وتردد صدى كلماتها الأخيرة وسط المقابر، وفجأة ظهرت أيادٍ سوداء كثيرة وجذبت أينور إلى داخل القبر وحاول الأب أن يجذب ابنته إليه ويخلصها من تلك الأيادي السوداء، ولكنه لم يستطع غير تمزيق قطعة من ثوبها الأبيض، ظلت في في يده ونظر الأب لقطعة القماش وصرخ بقوة عندما جذبت الأيادي السوداء ابنته من أمامه وأغلق القبر بابه بقوة وظل فهمي يصرخ وينادي على ابنته قائلًا: أينوررر بنتي متسيبينيش يا أينور.. وهنا شعر بمن يجذبه بشدة هو أيضا وينادي باسمه ويهزه بقوة فصرخ برعبٍ وصرخ فهمي بقوة و...

"فهمي ارجوك يا فهمي اصحى" فكانت زوجته هناء تهزه بعنف: "إصحى يا فهمي فووق ارجوك" ثم أكملت هناء قائلة: فهمي فيه ايه بسم الله الرحمن الرحيم بتصرخ ليه يا حبيبي ؟

فتساءل فهمي والعرق يغمر وجهه قائلًا: أنا فين ؟و فين بنتي أينور؟ فردت هناء بقلقٍ: في أوضتها بتذاكر يا حبيبي مالك بس فيه إيه؟ إنت شكلك كنت بتحلم بكابوس . وأكملت وهي تناول زوجها كوبًا من الماء البارد: انا عارفة إيه اللي جرالنا كلنا. من ساعة ماخدنا الشقة الشؤم دي والبيت كله إتشقلب حاله. إيناس وإيهاب قافلين عليهم الأوضة ودايمًا مرعوبين وكأن في حاجة رعباهم او حد بيخوفهم. وأينور اتغيرت أوي يا فهمي وحتى مبقتش بتروح الدرس وبتروح المقابر وبتقول اسمها شواهد. يظهر إننا اتحسدنا يا حبيبي. وظلت هناء تتحدث إلى زوجها. ولكن لم يستمع زوجها لأي كلمة تقولها. فقد كان ينظر برعبٍ إلى يديه وإلى قطعة قماش بيضاء ممزقة كان يمسكها بقوة بين أصابعه من فستان ابنته.. وهنا صرخ الأب بعنفٍ مناديًا باسم ابنته: أينوررررر.

***

في حجرة إيناس وإيهاب

كان الطفلان يتحدثان بصوتٍ منخفض حتى لايستمع أحدٌ إليهما فقال إيهاب برعب: أنا خايف يا إيناس من أينور احسن تاكلنى زي ماكلت ميكي.

فردت إيناس بشكٍ: بلاش تخريف يا إيهاب يا حبيبي أينور هتاكل القط ميكي ازاي يعني. أكيد القطة هربت.

وينفجر الطفل في البكاء: إنتي مش مصدقاني أنا شفتها بعيني وهي بتاكله. صدقيني دي مش أينور أختنا أبدًا. وتسكت إيناس قليلًا وتتذكر أختها أينور قبل الانتقال لتلك الشقة المشئومة: كانت طيبة القلب وتحبها هي وإيهاب وتلعب معهما وتشتري لهما الحلويات من مصروفها الشخصي. لكن الآن تغيرت كثيرًا وأصبحت مُرعِبة وخصوصًا عندما تلمع عيناها ويتغير لونها إلى اللون البنفسجي. فقالت إيناس بصوتٍ منخفض وشك: يمكن بيتهيألك يا إيهاب.

فردَّ إيهاب بإصرارٍ غريبٍ: لا لا. صدقيني اللي عايشة معانا دي مش أينور. دي واحدة تانية وكأنها شيطانة.. وسكتت إيناس وهي تنظر لأخيها الصغير؛ فهي تؤمن وتصدق كل ما قال. وقالت لأخيها بصوت منخفض: الأول احنا هنحاول نتجنبها خالص ومنعملش معها مشاكل ونراقبها من بعيد لغاية مانشوف مين دي أينور ولا واحدة تانية ومنتحلة شخصيتها وبتضحك علينا كلنا.

***

كانت هناء تتحدث مع زوجها بخصوص ابنتها التي تغيَّر حالها. فقالت هناء: فهمي انا عايزة اعرض أينور على طبيب نفسي. صاحبتها ريهام كلمتني النهاردة بتقول انها بتغيب من الدرس ولما كلمتها بتقول كلام مش مفهوم.. وقطعت هناء كلامها عندما لاحظت سرحان زوجها وعدم اهتمامه بكلامها؛ فكان فهمي يفكر في الحُلم، وقطعة القماش، وفي أينور. ولم يسمع أيَّ كلمة قالتها زوجته. لاحظت الزوجة هذا فزفرت

بقوة وقالت لزوجها بضيق: ماترد عليا وتعبرني شوية يا فهمي فيه إيه بالظبط.

فردّ فهمي: إنتي بتقولي حاجة يا هناء.

فقالت هناء بغضبٍ: لا الموضوع فيه إن مالك يا فهمي.

فردّ فهمي: فيه موضوع شاغلني شوية في الشغل ودماغي مشغولة. أنا آسف يا هناء يا حبيبتي. إنتي بتقولي إيه؟؟

فقالت هناء بعتاب: كنت بقول ان أينور مش طبيعية وعايزة اكشف عليها عند دكتور نفسي يعرف في إيه وحد زعّلها في المدرسة ؟

ردّ فهمي بشرودٍ: إعملي اللي إنتي شايفاه يا هناء في مصلحة البنت وسيبيني دلوقتي لو سمحتي لأني هخرج شوية مع صحابي.

فقالت هناء بفتور: ماشي يا فهمي اللي تشوفه يا حبيبي.

فكّر فهمي في الحاج المصرى جاره، وقال لنفسه: أكيد يعرف حاجة عن الشقة دي لانه ارتبك لما عرف اني انا اللي ساكن فيها، أنا لازم اروح اعرف منه حكاية الشقة والمقابر دي ومين اللي عايشة معانا دي وفين أينور بنتي..

و عندما هم بالخروج من باب الغرفة بعد ارتداء ملابسه لزيارة جاره ومعرفة الحقيقة.. ففي تلك اللحظة شاهد أينور تقف أمام باب الغرفة لتسد عليه الطريق وهي تبتسم ابتسامة صفراء وبعينين بنفسجيتي اللون تقول: إنزل يا بابا عزّي عمي فتحي جارنا، اصل والده الحاج

مصري مااااااااااااات.. .....وهنا سقط فهمي على أقرب مقعد منهارًا و هو ينظر لابنته بذهولٍ.

***

أخبار الحوادث

مقتل طفلة والتمثيل بجثتها

عثر أهالي منطقة... وسط مقابر... على الطفلة ريهام أحمد أبو العنين التي لم تتجاوز الاثني عشر عامًا مذبوحة وتمَّ التمثيل بالجثة وسرقة بعض الأعضاء.

وانتقل اللواء... إلى مكان الحادث .. وأكَّد الحاج فرج اللحاد وهو المسؤل عن المقابر وحراستها بأنه شاهد أحد القبور يتلوَّن باللون البنفسجي، فذهب ليرى ماذا يحدث وأي عبث شيطاني هذا، ومن لوَّن القبر ويستخف بحرمة القبور والأموات فوجد القتيلة بالصدفة وهو في طريقه لرؤية القبر، وقام على الفور بإبلاغ الشرطة، وأكد الطبيب الشرعي باختفاء بعض الأجزاء من الجثة: العينان، واللسان.

ولقد عثر مفتشو البحث الجنائي على قلب الجثة مدفونًا بالقرب من مكان الحادث، ولم تتمكن الشرطة من العثور على باقي الأعضاء المسروقة.
وأكَّد اللواء... اختفاء والد ووالدة الطفلة في ظروف غامضة ومازالت التحريات للبحث عن الفاعل مستمرة.

الفصل السادس

في المقابر والشاهد الملون

ذهب فهمي إلى شقة جارة ليعزّيه في موت أبيه و تساءل فهمي عن مرض جاره المتوفى هل هو مرض مزمن؟ فأكد له الابن فتحي بأن والده كان قد بدأ يتحسن كثيرًا في الفترة الأخيرة. ولكن لا يدري ماذا حدث فجأة: فقد دخل لينام كعادته بعد الظهر ولم يستيقظ ثانية. لا يدري كيف و لا متى مات. و هنا تساءل فهمي بحرج قائلًا: وماقلكش حاجة عنّي قبل مايدخل ينام يا أستاذ فتحي.

فكر فتحي قليلًا ونظر له باستغراب ثم رد قائلا: و إنت عرفت منين يا فهمي.

فردَّ فهمي: عرفت إيه بالضبط

فرد عليه فتحي قائلا : قبل مايدخل ينام وصّاني اديلك الورقة دي يا أستاذ فهمي ،ثم أخرج ورقه صغيرة من جيبه وناولها لفهمي. فنظر فهمي باستغراب ولهفة إلى الورقة. ومدَّ يده سريعًا وأخذ الورقة من يد جاره وألقى عليها نظرة عابرة.. فوجده عنوانًا غريبًا ولكنه يبدوا قريب من المنطقة. تساءل بقلقٍ بينه وبين نفسه "عنوان مين يا ترى؟" ثم طوى الورقة. ووضعها في جيبه وأستأذن من جاره ورحل وقرر فهمي الذهاب إلى ذلك العنوان بأي ثمن ومعرفة الحقيقة مهما كانت: فلابد من معرفة أين ابنته أينور؟ فذهب إلى العنوان المذكور بالورقة واستقل سيارة أجرة. وطلب من السائق أن يوصله إلى العنوان بالورقة. وكانت المفاجأة..

توقفت سيارة الأجرة وقال السائق: العنوان اهو يا أستاذ.
فنظر فهمي باستغراب قائلًا: هو دا العنوان يا اسطى. متأكد؟
فردَّ السائق: أيوة متأكد بس مش تقول انك عايز تروح القرافة من الأول...؟

نظر فهمي بحيرة إلى ذلك العنوان: فهو عنوان المقابر و هي نفس المقابر التي تطل عليها حجرة ابنته أينور، وهي نفس المقابر التي شاهدها في الحُلم. دخل فهمي إلى المقابر وسار في نفس الطريق الذي شاهد ابنته أينور تجري فيه من قبل، ووقف أمام القبر الذي اختفت أينور داخله.
فوجده قبرًا غريبًا ملونًا باللون البنفسجي و كأنه ضريح .. ومكتوب عليه "شاهد"..
والخط غريب وليس واضحًا، وحاول فهمي أن يركز ويمسح التراب من على الشاهد، وامتدت يد سوداء تجذبه بقوة فصرخ بقوة: مين...؟

فسمع من يقول له: إنت اللي مين وبتعمل إيه هنا..؟ ردَّ فرج اللحاد حارس المقابر العجوز.

فهمي: حرام عليك خضتني هو مين اللي مدفون هنا يا حاج وملوّنين القبر دا ليه..؟

فقال عم فرج بشكٍّ: وبتسئل ليه يا افندي..؟ أخرج فهمي سيجارة وناولها لفرج وقال: أنا كنت بزور واحد قريبي ولفت نظري لون القبر الغريب.

ردّ اللحاد العجوز:

دول شوية عيال حشاشين لوّنوا الشاهد بعد ماقتلوا بنت صغيرة ومثلوا بيها.

و هنا دقّ قلب فهمي بشدة و تساءل برعب : بنت مين واسمها إيه...؟
فرد فرج قائلا :والله ماعارف أهي الحادثة موجودة في الجرنال الواد ابني غاوي جرايد. ونادى فرج على ابنه صدّام بقوة ولم يتلقَ اي إجابة. فقال فرج: إستنى يا افندي كدة، هروح اجيبلك الجرنال، شكل الواد ابني نايم.

ودخل فرج غرفة صغيرة بالمقابر ونادى على ابنه: "واد يا صدام فين الجرنال اللي فيها صورتي". وخرج فرج بعد قليل وهو يحمل بيديه جريدة ولم ينتظر فهمي فلقد قام باختطاف الجريدة من يد فرج بلهفة وبدأ يقرأ الخبر وهو مفزوع معتقدًا بأنها ابنته أينور..

فصرخ فهمي برعب قائلًا: دي ريهام صاحبة أينور.

وذهب فهمي دون أن ينطق كلمة واحدة؛ لقد كان الحيرة والتوتر يقتلانه ولم يردّ على فرج العجوز الذي سأله: إنت تعرف القتيلة يا افندي.....؟
وصمم فهمي على فتح ذلك القبر أو الضريح كما أخبرته أينور بالحُلم ومعرفة ما به، ومن مدفون بداخله ؟

وعند منتصف الليل، دخل فهمي المقابر وبيده كشّاف صغير، وذهب للقبر وحاول فتحه بالأشياء التي أحضرها معه.. وأخيرًا انفتح القبر وشاهد فهمي جثة فتاة صغيرة ترتدي فستانًا أبيضَ ممزقًا وصرخ فهمي بقوة قائلًا: لا أينوررر..

وفي تلك اللحظة ظهرت الأيادي السوداء وجذبت فهمي إلى داخل القبر. وهنا ظهر فرج اللحاد وابنه صدّام وشاهدا ما يحدث والأيادي السوداء تجذب فهمي للقبر المفتوح.

فصرخ فرج برعبٍ: أعوذ بالله من الشطيان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فصرخ العجوز بابنه قائلًا: شِد يا واد يا صدام، شِد الرجل بسرعة وقدر فرج وابنه صدّام على أن يخرجا فهمي الذي كان في حالة صدمة شديدة وسقط فاقد الوعي تحت أقدامهم.

***

في المستشفى..

كانت هناء منهارة وتسأل الطبيب قائلة: حالته إيه يا دكتور، لو سمحت طمّني هيعيش. وانفجرت في بكاءٍ هستيري.

فردَّ الطبيب مهدئا: المريض في غيبوبة، وإن شاء الله يفوق منها قريّب، ممكن بعد ثواني أو ساعة أو إسبوع أو شهر وكل شيء بإيد ربنا الحالات اللي زي دي محتاجه الصبر يا مدام.

فترد هناء من بين دموعها: طيب هو عنده ايه بالظبط؟ أرجوك طمّني يا دكتور.

فردّ الطبيب: مش عارف أقولك إيه يا مدام، في حالات بيعجز الطب عن تفسيرها. جوز حضرتك كل أعضائه سليمة مِية في المية بس مخه بيرفض الاستجابة لأي حاجة، رافض الحياة. ممكن مع الوقت يفوق إن شاء الله.. و هنا قطع كلامهما صوتٌ يتحدث بخشونة، فكان ضابط شرطة الذي قال: جوزك كان رايح المقابر ليه في الوقت دا يا مدام؟

فردّت هناء بتوتر: المقابر؟ مش عارفة.. وانهارت الزوجة وهي تسأل هو إيه اللي حصلّه يا حضرة الظابط؟

الضابط: محدش يعرف الحقيقة، حارس المقابر وابنه لقيناهم مقتولين وجوزك فاقد الوعي جنبهم في المقابر وهو المسؤول الوحيد أدامنا دلوقتي.

إحنا منعيّن حراسة على باب الأوضة وهنستنى لما يفوق، لازم نعرف إيه اللي حصل بالظبط في المقابر. الموضوع كبير ومش سهل أبدًا يا مدام.

و تركها الظابط ورحل فكانت تبكي بانهيارٍ وتنتحب بجوار فراش زوجها الفاقد الوعي، ولا أحد يعرف ماذا حدث معه بالظبط.

الفصل السابع

يتذكر فهمي أحداثًا كثيرة من الماضي.

كانت أينور ترتدي ثوبها الأبيض وتحاول أن توقظ والدها، فقالت بحنانٍ: إصحى بقى يا بابا كفاية نوم لحد كدة، ماما واخواتي كلهم مستنينك، يلا فووق بسرعة. وظلت أينور تهز والدها فهمي بقوة ليستفيق وفتح فهمي عينيه، وصرخ: أينور حبيبتي انتي عايشة، الحمد لله يارب.

فتبتسم أينور بحزنٍ قائلة: أنا موجودة اهو، متخفش يا بابا انا جنبك في كل مكان بس ارجوك اصحى بسرعة، كلنا مستنينك.

فقال فهمي بشكٍّ: وجثة مين اللي في القبر يا أينور؟ دي واحدة شبهك بالظبط يا بنتي؟ الحمد لله انك بخير يا أينور الحمد لله يا رب .

أينور بحزنٍ: يا بابا علشان خاطري اصحى بسرعة، كلنا محتاجينك ، أنا وماما وإيهاب وإيناس، وسكتت قليلًا ثم أكملت: وأيشتور.. وظلت تهزه بقوة ليستفيق، وظلّ كلامها يتردد في أذنه: "كلنا محتاجينك أنا وماما وإيهاب وايناس وأيشتورررررررررر"..

***

في المستشفى وفي حجرة العناية الفائقة، كانت الممرضة عواطف تصيح بصوت عالٍ: دكتور مراد إلحقني، المريض فهمي مؤشرات المخ بتزيد بطريقة غريبة.

فنظر الطبيب إلى المريض وردد: شكله بيحلم بكابوس او بيفكر في حاجة؟ وهنا قالت الممرضة باندهاش: معقول يا دكتور مراد، هو المريض بيكون فاهم وبيفكر وبيحلم كمان وهو في غيبوبة؟

فردَّ الطبيب مراد قائلًا: أيوة يا عواطف مريض الغيبو... ولم يكمل الطبيب حديثه فلقد استفاق فهمي وتكلَّم بصوتٍ منخفض متسائلًا بتعجُّب: أنا فين؟ وأبنور بنتي فين؟

فابتسم الطبيب قائلا: حمد لله على سلامتك يا أستاذ فهمي.

فكرر فهمي سؤالة قائلًا: أنا فين ؟

فرد الطبيب قائلًا: إنت في المستشفى من حوالي أسبوع كنت في غيبوبة يا أستاذ فهمي.

فقال فهمي بفزع: أسبوع ازاي إيه اللي حصل بالظبط، أنا مش فاكر حاجة خالص؟

وهنا دخل ضابط الشرطة إلى الغرفة، ثم قال بانفعالٍ: إنت اللي متقولنا إيه اللي حصل؟

فردَّ فهمي: مش فاكر حاجة، أنا كل اللي فاكره اني كنت رايح القبر البنفسجي أشوف فيه إيه؟

الظابط: وكنت رايح ليه يا أستاذ فهمي؟

فردَّ فهمي بحيرة: لفت نظري لونه الغريب ومعرفش إيه اللي حصل بالظبط.

ردَّ الظابط: إحنا لقينا اتنين مقتولين أمام القبر دا، اللحاد وابنه واختفاء بعض الأعضاء من جثثهم وانت كنت على الأرض فاقد الوعي، تقدر تفهّمنا مين اللي قتلهم ومثّل بجثثهم.

فصرخ فهمي برعب: فرج مات؟.. ازاي؟

الظابط: إنت اللي هتقوالنا ازاي أرجوك حاول تساعدنا الموضوع مش سهل ؟

فهمي: مش فاكر، مش فاكر صدقني بس أكيد مش انا اللي موتّهم، صدقني يا حضرة الظابط.

فردَّ الظابط: إحنا عارفين يا أستاذ فهمي انك ملكش علاقة بالموضوع، بس عايزين نعرف إيه اللي حصل، حاول تفتكر.. حاول فهمي أن يتذكر ماذا حدث تلك اللحظة، ولكنه لم يتذكر أبدًا، وصرخ قائلًا: مش فاكر مش فاكر.

وهنا تدخل الطبيب قائلًا: ارجوك يا حضرة الظابط، المريض لسه فايق من الغيبوبة ولازم يرتاح ويظهر ان الصدمة سببتله فقدان ذاكرة مؤقت لتعرضه لضغط شديد و موقف صعب أثناء الحادثة فالمخ بيحاول ينسى الموقف والمريض بيفتكر كل حاجة إلا الموقف اللي حصل واللى بتعمله دا غير قانوني، وانا بخلي مسؤليتي تمامًا لو المريض حصلتله

التكاسة.

فزفر الضابط بقوة قائلًا: وهيخرج إمتى يا دكتور وضغط على حروف كلمته الأخيرة؟

فردَّ الطبيب بضيقٍ: هنعمله الفحوصات اللازمة ويخرج قريب إن شاء الله.

وهنا نظر الضابط لفهمي بشكٍّ ثم قال: محتاج اتكلم معاك تاني يا أستاذ فهمي، أنا عرفت ان البنت اللي لقيوها مقتولة بجوار الشاهد تبقى زميلة بنتك أينور في المدرسة. ثم ألقى نظرة سريعة على الطبيب وقال: خلينا نتكلم بكرة إن شاء الله.

فهزَّ فهمي رأسه بالموافقة، وهنا دخلت هناء وألقت نفسها بين أحضان زوجها وهي تبكي قائلة: حمدلله على سلامتك يا فهمي، البيت من غيرك كان وحش أوي يا حبيبي والأولاد كانوا هيتجننوا عليك.

فيرد فهمي وهو سرحان: وأينور عاملة إيه، سألت عليا يا هناء؟

هناء بحزن: أينور هتموّت نفسها من العياط عليك يا فهمي. فنظر فهمي لعينيْ زوجته وهو يعرف بأنها تكذب، ويتساءل بشكٍّ قائلًا: بجد أينور زعلانة عليَّا ووحشتها يا هناء؟

فحاولت هناء أن تتجنب النظر لعين زوجها وردت عليه بحزنٍ قائلة: إنت عارف أينور وحنيتها وتعلقها الشديد بيك يا فهمي، دي حزينة جدًا عليك، ولا بتاكل ولا بتشرب، وكانت نفسها تيجي معايا بس انا خلتها مع

اخواتها.. وصمتت قليلا لتلتقط أنفاسها وهي تحكّ أنفها ثم أكملت قائلة: المهم انك قمت بالسلامة، أنا سعيدة أوي يا فهمي انك قمت بالسلامة، أنا هسيبك واروح اسأل الدكتور هتقدر تخرج إمتى من المستشفى.

ورحلت هناء من الحجرة مسرعة وتركت زوجها يفكر في كلام أينور بالحُلم " إحنا كلنا محتاجينك، أنا وماما وإيهاب وإيناس وأيشتور " وتساءل فهمي بينه وبين نفسه قائلًا: أيشتوررر مين؟؟ وأغمض عينيه ليتذكر..

وهنا صرخ فهمي برعبٍ قائلًا: "أيشتور".. وتذكر ذلك الموقف الذي حدث منذ سنين طويلة، منذ أكثر من اثني عشر عامًا قبل أن تُولَد أينور وتأتي للحياة، فاسم ايشتور من الصعب نسيانه بسهولة.

***

قبل اثني عشر عامًا، وفي عيادة أحد الأطباء، كان فهمي وهناء يجلسان بقلقٍ في عيادة أحد الأطباء، يسأل فهمي الطبيب: خير يا دكتور هناء عندها إيه بالظبط؟

فابتسم الطبيب والتفت إلى الزوجة قائلًا: مبروك يا مدام هناء، إنتي حامل.

فنظرت هناء بتعجب غير مصدقة ما يقول فقالت بفرحة: بجد يا دكتور الحمد لله يارب انت متأكد؟!

ابتسم الطبيب بثقة: يا مدام انتي في بداية الشهر الخامس، معقول معرفتيش قبل كدة دا انتي حامل في توأم كمان..

صرخت هناء من السعادة غير مصدقة ما يقول: معقول انا حامل في توأم. والله انت بتتكلم بجد. أنا مش مصدقة أبدًا لأن الهرمونات عندي ملخبطة والرحم فيه تشوه، وكنت فقدت الأمل في الخِلفة خالص. معقول اكون حامل وفي توأم كمان.

فيرد فهمي وهو سعيد ويبتسم قائلًا: الحمد لله يارب، مفيش حاجة بعيدة على ربنا، إحنا لفينا لدكترة كتير وقالوا استحالة ان هناء تخلف لأن الرحم عندها مشوّه بطريقة غريبة واستحالة يقدر يتحمل وزن جنين.

ويردد فهمي قائلًا: سبحان الله حامل في توأم..

ابتسم فهمي بسعادة غير مصدق وتساءل بلهفة: هو نوع الجنين إيه يا دكتور مش باين عندك في السونار؟

فيرد الطبيب قائلًا: شكلهم بنتين زي القمر.

ابتسم الطبيب: شايف بيلعبوا مع بعض ازاي، شكلهم هيطلعوا بيحبوا بعض أوي يا أستاذ فهمي.

وغادر فهمي وزوجته العيادة وهما في قمة السعادة؛ فلم يكونا يتوقعان أبدًا أن تنجب هناء بعد أن أجمع معظم الأطباء استحالة حملها.

وبعد عودتهما إلى منزلهما قالت هناء لزوجها بسعادة: مبروك يا فهمي يا حبيبي، الحمد لله، شايف يا فهمي ربنا كريم اوي ازاي، حامل في توأم. فيبتسم فهمي قائلًا: الحمد لله يا هناء ربنا عوّض صبرنا خير. إحنا بقالنا سنين بنلف على الدكاترة ومفقدناش الأمل أبدًا في رحمة ربنا.

فقالت هناء بسعادة: فهمي هسمي البنات واحدة أينور والتانية هسميها أيشتور.

ويبتسم فهمي قائلًا: إسم أينور جميل أوي يا هناء موافق عليه، بس أيشتور غريب ومش ظريف مالوش معنى يا حبيبتي.

فقالت هناء بإصرار: نفسي يا فهمي اسمّيهم الإسمين دول: أينور وأيشتور.

فردَّ فهمي بضيقٍ: حاضر يا هناء اللي انتي عايزاه، أيشتور أيشتور بس يتولدوا بالسلامة.

وبعد مرور أسبوعين، كانت هناء وزوجها في عيادة نفس الطبيب.

الطبيب بقلق قائلًا: مدام هناء، النزيف زاد، إحنا لازم نتخلص من واحدة من البنات.

فهمي بحزنٍ: ليه يا دكتور؟ ماتحاول تديها حاجة توقّف النزيف، حقن مثبتات شوف حل تاني أرجوك...

فيرد الطبيب بأسى: مش هينفع يا أستاذ فهمي، النزيف زاد وفي خطورة على حياة البنت التانية، وعلى مدام هناء.

فقالت هناء وهي تبكي: خلاص يا دكتور إعمل العملية وانقذ أينور.
وينظر لها زوجها ويتساءل قائلًا: واشمعنى ينقذ أينور يا هناء مقولتيش ليه أيشتور؟

وهنا ترد هناء من بين دموعها قائلة: لأنك مكنتش حابب إسم أيشتوررر يا فهمي أهي خلاص هتموت عشان ترتاح.

الفصل الثامن

كتاب العزيف

عاد فهمي مع زوجته إلى شقته. فكانت ابنته أينور تشاهد التلفاز وألقت نظرة سريعة على والدها وأمها ولم تتحرك خطوة واحدة أو تهتم للأمر.. بل أكملت مشاهدة التلفاز. ولم تقف لترحب بعودة والدها المريض.

وقالت هناء:حمد الله على سلامتك يا حبيبي. نوَّرت بيتك.

ونادت على أطفالها ليرحبوا بوالدهم العائد بعد غياب أكثر من أسبوع عن المنزل. وأسرع كلٌّ من إيناس وإيهاب إلى حضن والدهما ولم تتحرك أينور خطوة واحدة..

نظر فهمي لأينور بشرود: وانتي يا أينور يا حبيبتي مفيش حمد لله على السلامة يا بابا؟

فتقول أينور ببرودٍ: حمدلله على سلامتك يا بابا.

هناء بغيظ: مش هتسلّمي على باباكي يا أينور وتبوسيه؟

فتتحرك أينور: حاضر ثم صافحت والدها ببرود وكأنه عدوها اللدود وأسرعت إلى غرفتها، وفتحت النافذة الوحيدة بالغرفة، وظلت تنظر إلى المقابر بهيامٍ وكأنها تتحدث معها و تناجيها بشوق.

فتكلمت هناء بضيقٍ: متزعلش يا فهمي من أينور، هي كدة اتغيرت أووي وناوية اوديها لدكتور نفسي، بس انشغلت معاك ونسيتها خالص.

لم يعلق الزوج على كلام زوجته، ودخل غرفته بصحبه ولديه إيناس وإيهاب، وكانا يتحدثان معه فقالت إيناس: أوعى تسبنا تاني يا بابا. ويؤكد كلامها الطفل الصغير: أيوة يا بابا احنا بنحبك أوي.

فضحك فهمي بحب قائلا: إن شاء الله مش هسيبكم أبدًا يا ولاد. ربنا ميحرمنيش منكم أبدا يا رب .

وتنظر الأم بسعادة إلى زوجها وهو يتحدث مع طفليها وقالت بسعادة : هروح اعملك فرخة و شوية شوربه عشان تتغدى يا حبيي. الدكتور قال لازم تتغذى كويس علشان تسترد صحتك بسرعة.
وقطع كلامها إيهاب وهو يقول: مفيش فرا... ولم يكمل باقي جملته. عندما نظر لأخته فوجدها تهز رأسها بمعنى ان يسكت ولا يتكلم. وهنا لاحظ فهمي وتساءل بدهشة: مفيش إيه يا إيهاب؟

و لم يرد الطفل الصغير بل نظر بذعر لعينيْ أخته ولم يتكلم. وهنا دخلت الأم المطبخ لتعد طعام الغداء. وفتحت الثلاجة ثم صرخت هناء بدهشة قائلة: مفيش فراخ ولا لحمة الفريزر فاضي! وتحدّث نفسها: معقول؟ دانا لسه شارية خمس فرخات وتلاتة كيلو لحمة امبارح خزين الشهر. معقول أينور تكون أكلتهم وقدرت تطبخ وتاكل كل الكمية دي كلها. وصرخت تنادي على ابنتها قائلة: أينورررررررر..

وأتت أينور إلى المطبخ ببطء. وسألتها الأم عن اللحوم التي كانت بالثلاجة أين اختفت؟؟ فردت الطفلة ببرودٍ قائلة: أكلتهم يا ماما كنت جعانه في مشكلة.
فصرخت الأم بقوة في وجهها قائلة: إزاي يا أينور؟ أكلتهم ازاي نيين ولا إيه.. .مفيش ولا طبق في الحوض!

فترد أينور ببرودٍ: أيوة أكلتهم نايين من غير مايستوا يا ماما وفيها إيه؟ ما الصينين بياكلوا اللحمة نيّة.. دول كمان بياكلوا لحم البشر و بيشربوا دمهم . ثم ابتسمت ابتسامة صفراء وأكملت قائلة: حتى طعم اللحم من غير مايستوي أظرف بكتير، وبيكون فيه دم وقيمة غذائية أكتر. وأطلقت ضحكة عالية تردد صداها في أذن الأم..

وهنا نظرت الأم لابنتها باندهاشٍ، وقالت لنفسها: "إستحالة دي تكون أينور بنتي أبدًا".. و لكنها لم تستطع فعل شيء أو الصراخ في وجهها؛ فقد خافت على زوجها المريض الذي لم يمر على خروجه من المستشفى سوى ساعات قليلة، ولقد منعه الأطباء من أي انفعالٍ، فصمتت الأم وابتلعت الكلمات في حلقها.. وذهبت لتشتري فرخة للغداء دون أن تنطق بحرف واحد مع ابنتها .

***

في قسم الشرطة

اجتمع الرائد محمود وهو المسؤل عن قضايا القتل الغامضة التي انتشرت في الفترة الأخيرة في البلاد مع رئيسه بالعمل كي يناقش آخر التطورات بالقضية والأحداث الأخيرة.

فقال محمود:تمام يا فندم كل الشُبهات بتدور حول القبر الملوّن باللون البنفسجي يا فندم.. ومحتاج أمر من النيابة بفتح القبر لأني متأكد اننا هنلاقي الأعضاء المختفية للجثث مدفونة بالشاهد دا يا فندم.

ردّ اللواء ناجي قائلًا: إنت متأكد من تحرياتك يا سيادة الرائد، إحنا مش ناقصين بلبلة في البلد وإثارة الفتن كفاية اللي البلد فيه.

فرد محمود قائلا :الشاهد دا يا فندم للمدعو شوكت السلحدار والتحريات أثبتت إن المذكور كان بيمارس السحر الأسود، وكان رئيس لجمعية عودة العشرين شيطان، والغريب في الأمر إن كل أعضاء الجمعيه اختفوا في ظروف غامضة.

ردّ اللواء ناجي بفزعٍ قائلًا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يعني البلد ناقصة كمان عبادة شياطين، لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني رأيك يا سيادة الرائد انهم بيحاولوا يمارسوا السحر الأسود دا لإعادة شوكت للحياة؟ ولا ديانة جديدة ولا إيه بالظبط؟؟ أستغفر الله العظيم ربنا يلطف بينا ويرحمنا يارب احنا كمان ناقصين...

ويكمل اللواء ناجي كاملًا:

- بس مقلتليش يا محمود إيه علاقة فهمي بالموضوع دا وإيه دوره في القضية بالظبط؟

فابتسم الرائد محمود قائلًا: المفاجأة يافندم...

فقال اللواء ناجي بجدية شديدة نظرًا لخطورة الأمر:معقول يا محمود معنى كدة إن فهمي فيه خطر على حياته هو وأفراد أسرته، إنت لازم تعينلي حراسه مشددة على البيت، وعلى جميع أفراد الأسرة وخصوصًا الطفلة أينور.

فردَّ الرائد محمود بسرعة: تمام يا فندم، عُلِم وسينفذ في الحال.
اللواء ناجي: شِد حيلك يا سيادة الرائد وبلّغني بكل جديد في القضية، الموضوع في غاية الخطورة، مش عايز اي تهاون أو تقصير.

***

في منزل فهمي

أتى جاره الأستاذ فتحي لزيارته بعد خروجه من المستشفى، وقال فتحي: حمدلله على سلامتك يا فهمي، والله ربنا يعلم انا كنت متأثر أد إيه بمرضك، بس معرفتش ازورك في المستشفى كانت ظروفي ملخبطة شوية.
فردَّ فهمي متأثِّرًا: الله يكرمك يا فتحي، القلوب عن بعضها..

فصمت ثانية ثم تساءل باهتمام: إنت ساكن في العمارة هنا من إمتى يا أستاذ فتحي؟

ردَّ فتحي باستغراب: أنا اتولدت هنا يا فهمي، دي شقة ابويا وامي من سنين الله يرحمهم.

فقال فهمي باستغراب: إزاي؟ يعني العمارة دي مبنية من أكتر من اربعين سنة... بس شكل العمارة جديد وكأنها لسه مبنية من كام شهر مش من أكتر من تلاتين أو اربعين سنة.

ضحك فتحي: انت بتقُرّ على البيت يا فهمي، خليه يقع على دماغنا بقى.. وضحك بقوة.

فقال فهمي باندهاش: لا انا مستغرب بس ازاي؟

ردّ فتحى بجدية قائلًا: عندك حق، بس محدش يعرف السبب، البيت دا مبيعجزش أبدًا ومبيبنش عليه الكِبَر أبدًا، ومحدش عارف السبب...
تساءل فهمي: ومين كان ساكن قبل الأستاذ نادر في الشقة بتاعتي يا فتحي؟
وهنا شرد فتحي قليلًا ثم قال: محدش كان ساكن هنا قبل نادر غير قريبه غريب الأطوار، كان ساكن من سنين يمكن من قبل ما اتولد كمان، كنا بنخاف منه واحنا صغيرين، كنا ساعات نسمع أصوات كتير من داخل الشقة ونلاقي دم كتير وعضم على باب الشقة، وحاجات غريبة، وبعد موته ، ورث وسكن قريبه نادر ومكملش اسبوع وباع الشقة واختفى في ظروف غامضة، ومحدش يعرف عنه حاجة مع إنه كان عريس جديد، بس مراته ماتت في حادثة غريبة كدة.

وهنا سأله فهمي عن اسم الساكن عمّ نادر غريب الأطوار فأخبره فتحي بأنه يدعى"شوكت السلحدار"

***

في المقابر وعند الشاهد البنفسجي، اتجهت قوة من قوات الشرطة برئاسة الرائد محمود، وتم فتح القبر الملوَّن بواسطة بعض الجنود الذين صرخوا رعبًا من هول ما شاهدوا...

فصرخ أحد الجنود بقوةقائلًا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله".. وهنا قال الرائد محمود بعنف: فيه إيه يا عبد الغفار.. .إنطق بسرعة ....

فرد الجندي عبد الغفار و هو يصرخ برعبٍ وتوتر شديد قائلا: تعالى يا فندم بنفسك وشوف المصيبه.

فدخل الرائد محمود إلى القبر المفتوح وشاهد الكثير من الأعضاء البشرية الطازجة التي لم تتعفن بعد أو تتحلل وكأنها قُطِعَت طازجة من أصحابها من دقائق قليلة. عيون وقلوب وأجنّة ورحم وكلى ووووو...إلخ، ووسط تلك الأعضاء الكثيرة والدماء المتناثرة هنا و هناك، كان هناك كتاب غريب الشكل والملمس كُتِبَ عليه اسم (كتاب العزيف). فقام أحد الجنود بأخراج الكتاب من وسط الاعضاء البشرية الممزقه، وشعر الجندي بإشمئزاز غريب من ملمس الكتاب وكأنه جلد حي يتحرك تحت أنامله وناوله للرائد محمود بسرعة و هو يريد أن يتخلص من ذلك الشعور ، و هنا صاح أحد الجنود من بعيد عندما شاهد اسم الكتاب قائلا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إرمي يا فندم الكتاب دا بسرعة او احرقه أعوذ بالله من الشطيان الرجيم.

فتساءل الرائد محمود بتوتر : مالك يا بركات؟ فيه إيه وماله الكتاب دا؟إنت تعرف حاجة عنه....إتكلم....؟

فصرخ الجندي بركات برعبٍ: دا كتاب العزيف يا فندم للحظرد. الكتاب دا كتاب اسماء الموتى او إحياء الموتى أعوذوا بالله من الشيطان الرجيم.

فيرد الرائد محمود بقلق شديد: وعرفت منين الكتاب دا يا بركات؟

و هنا قال الجندي بإنهيار قائلًا: من عمي يا فندم اصله كان بيحب يقرا في كتب السحر الأسود وحكالي عن الكتاب دا وقالي إن الكتاب اختفى من سنين طويلة ومحدش يعرف طريقه من قروون طويلة. ومحدش يعرف الكتاب دا حقيقة ولا خيال. وأكمل الجندي برعبٍ و هو ينظر الى الكتاب قائلًا: بس شكله حقيقة. وهنشوف أيام ما يعلم بها إلا ربنا يا فندم وفتح محمود الكتاب يتفحص صفحاته وهو يشعر بالتوتر والقلق من كلام بركات. وهنا صرخ الجندى محذرا فقال: بلاش يا فندم تفضل ماسكه كدة كتير. دا جلد الغلاف مصنوع من جلد الموتى.. وكرر كلمة جلد الموتى كثيرًا ! لدرجة أن الرائد محمود ألقى بالكتاب على الأرض برعبٍ شديدٍ و هو يشعر بالتوتر و الأشمئزاز الشديد وابتعد الجنود جميعا عن القبر وهم يبسملون ويحوقلون ويرددون آية الكرسي من شدة الرعب و...

***

كتاب العزيف وهو للكاتب اليمني عبد الله الحظرد.

الكتاب: وهو أسماء الموتى أو أحياء الموتى.

ويتكلم الكاتب عن الكيانات التي كانت تعيش على الأرض، وكان الكاتب على اتصالٍ بها، ولقد سمًى الكتاب العزيف، وهي أصوات الحشرات في الجاهلية، وكانوا يعتقدون بأنها أصوات الجن ليلا، ويتحدث الكتاب عن

العشرين شيطانًا الذين اتخذوا هيئة البشر وتزوجوا وعاشوا في الأرض واختفوا بينهم و لا أحد يعرف مصيرهم و لقد اختفى الكتاب، وقد تمَّت ترجمته لعدة لغات.

والكتاب الأصلي غلافه مصنوع من جلد الموتى، لقد كان الحظرد شاعر مجنون، ولقد توفى عند التحام كائن غريب به وهذا ما أكده الشهود.

لانعرف إن كان كل هذا حقيقة أم خيالًا.

كان محمود يخبر اللواء ناجي بآخر ما توصل له وآخر تحرياته عند فتح القبر الملوَّن وهو إيجاد كتاب العزيف، و الكثير من الأعضاء البشرية الممزقه التي أثبت تحليل الحمض النووي بأنها تعود للجثث التي وجدوها مقتولة حديثا وتم التمثيل بجثثها ...و هنا صرخ اللواء ناجي برعبٍ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كفاية كفاية يا محمود مش عايز اعرف حاجة تانية عن الكتاب الملعون دا .

فقال محمود بجدية: هنتصرف ازاي دلوقتي يا فندم مع المعلومات الجديدة؟ إحنا حاولنا نحرق الكتاب والغريب إن الكتاب متأثرش بالنار، وحاولنا نغطّسه في بعض الأحماض القوية بردو متأثرش والغريب إن كل من حاول التخلص من الكتاب في الأدارة ماااااااااااااات في ظروف غامضة.
فردَّ اللواء ناجي بقلقٍ قائلًا: إحنا لازم نحط الكتاب دا في إيد أمينة، ومن كلامك عن الكتاب أعتقد ان سحرة كتير بيتمنوا يشوفوا الكتاب بس ويلمسوه ناس مرضى و مجانين .

فردَّ محمود بسرعة قائلا: جاتلي فكرة يا فندم..

و قام بشرح خطتة كاملة إلى اللواء ناجي ثم أكمل قائلًا: وبكدة هنقدر نحمي الناس من شر الكتاب دا إلى الأبد...

فردَّ اللواء ناجي قائلًا: إتوكل على الله واعمل اللي إنت شايفه هيخدم القضية يا سيادة الرائد، وأهم حاجة بلاش الصحافة تاخد خبر، إحنا مش ناقصين وجع دماغ وإثارة للفتن في البلد فكفاية اللي إحنا فيه من فتن.

الفصل التاسع
ليليث الشيطانة المتمردة

تعالوا نسيب القصة الأصلية شوية و كفاية جثث و اعضاء ممزقة ونعود بالزمن للخلف ثلاثة عشر عامًا. وفي أحد المنازل، يتحدث رجلان بصوتٍ عالٍ. ويقول أحدهما وهو شهاب للأخر: يا شوكت اللي بتقوله دا مستحيل. أنا استحالة اعمل كده ،و هنا يرد الآخر وهو شوكت السلحدار وعيناه تلمعان ويتغير لونهما للون البنفسجي قائلًا: معنى كلامك انك بترفض تنفيذ الأوامر يا شهاب، أنت عارف دول ممكن يعملوا فيك إيه انت وبنتك حبيبة.

فيردّ شهاب برعب قائلا:صعب يا شوكت صعب اللي بتطلبه منّي صدقني مستحيل أقدر انفّذه ببساطة.

فيقاطعه شوكت وهو يصرخ قائلًا: أنت كنت مطيع يا دكتور شهاب السنين اللي فاتت، بلاش تختمها كده معهم أنت عارف ممكن يحصلك إيه أنت و بنتك الجميلة، وابتسم شوكت ابتسامة فهمها جيدًا الرجل الأخر.

فصرخ برعبٍ قائلًا: إنت كنت بتطلب حاجات عادية، وبكل سهولة أقدر اجهالك مفيش مشكلة أني أجيبلك جنين ميّت، كل يوم ستات بتسقط وبنعمل عمليات إجهاض، لكن عايزني اجبلك جنين حي.. وكرر كلامه بحدة يعني اموّت روح ربنا خلقها؟ مش هقدر يا شوكت، أرجوك إرحموني وسيبوني أربي بنتي دي لسة صغيرة و محتاجاني ، أنا عارف اني استاهل أكتر من كدة بسبب اللي عملته.

فابتسم شوكت بمكر ثم قال : أنا مقلتلكش تموّت الجنين يا شهاب هما طالبين الجنين حي ويكون عمره خمس شهور.

شهاب: أنت أكيد مجنون عايزني احرم أم من طفلها؟ يا شوكت ليه وأقتل روح ربنا خلقها؟

فيصرخ شوكت: ماقولتلك شوف أي واحدة حامل في توأم. إنت هتغلَب يعني ما عيادتك مليانة ستات حوامل. وخد بالك الجنين طالبين نوعه أنثى لأنها هتكون النسل الجديد. وضغط شوكت على حروف كلمته الأخيرة.

فردَّ شهاب بحسرة: ومنين اجيب لسيادتك واحدة حامل في توأم وكمان يكون نوع الجنين أنثى.

ردَّ شوكت بعدم اهتمام قائلًا: مش مشكلتي، دي مشكلتك أنت. اتصرف وخد بالك البنت تكون عايشة وأنت اللي... ولّا بلاش خلها في وقتها أحسن يا شهاب كل شيء بأوانة.

***

دكتور شهاب محمد أحمد

استشارى أمراض النساء والولادة والعقم والحقن المجهري مدير مستشفى..

قالت هناء لزوجها: إيه رأيك يا فهمي بيقولوا عليه دكتور ممتاز وحنان زميلتي بقيت حامل على إيديه يمكن ربنا يكرمنا معه.

وهنا ردَّ فهمي بضيق: خلاص يا هناء تعالي نروح ونشوف هيقول إيه. وقولتلك ألف مرة ان الموضوع دا كله بإيد ربنا.

وذهب فهمي وزوجته لعيادة الطبيب شهاب الذي أخبرهما بأن هناء حامل في توأم بنتان، وبعد مرور أسبوعين من المتابعة عند الطبيب، وأخذ الأدوية، حدث النزيف وكان لابد من التخلص من إحدى الطفلتين، وقررت هناء التخلص من أيشتور وترك أينور لأن زوجها لم يكن معجبًا باسم الأولى.

ويوم العملية لم يسئل فهمي عن الجنين الميت أبنته أيشتور بعد عمليه الإجهاض؛ فكان خائفًا على زوجته والجنين الاخر، ولم يطالب بدفن الجنين أيضًا، ولم يخبره أحد بمصير ذلك الجنين.. لا الطبيب ولا المرضات، ونسى فهمي كل شيء، ولم يعرف مصير ابنته الأخرى أين دُفِنَت أو ماذا حدث لها.. ونسى كل شيء حدث تلك الليلة ولم يعد يتذكر شيئًا.

وفي حجرة العمليات، استخرج الطبيب الجنين وقام بزراعته في رحمٍ لكائن آخر، وهذه كانت أوامر شوكت السلحدار وأوامر الآخرين. وبعد إتمام العملية، صرخ الطبيب شهاب في وجه ضيفه المقيت قائلًا: إرتحت دلوقتي يا شوكت، أنا عملت كل اللي أمرتوني بيه، ممكن بقى ترحمني وقولهم يبعدوا عنِّي...

انا مش هعرف انام من اللي عملته..

ودي كانت آخر جملة قالها الدكتور شهاب لأنه مات في ظروف غامضة.

***

ونعود بالزمن للحاضر و للقصة مرة ثانية ونترك الماضي بأحداثه المرعبة و ألغازة المتداخله...

وفي قسم الشرطة

قال اللواء ناجي بجدية: إيه آخر الأخبار يا سيادة الرائد؟

فردَّ محمود بجدية قائلًا: تمام يا فندم سلمنا الكتاب للجهات المختصة خوفًا إنه يقع في إيد حد يستخدمه استخدام سيء.

فردَّ اللواء ناجي متسائلًا: وفهمي وأسرته إيه أخبار الحراسة والتحريات.

فردَّ محمود قائلًا: بعد التحريات قدرنا نوصل للمشتبه الأول يا فندم وهو أحد قرايب فهمي وابن عم مراته عدلي سليمان السيد السمسار

فرد اللواء ناجي بحيرة: ودا إيه علاقته بالقضية؟

***

في منزل فهمي

أتى ابن عم زوجته الحاج عدلي السمسار لزيارته والاطمئنان عليه واستقبلته الزوجة هناء بالترحيب قائلة: أهلًا يا عدلي يا ابن عمي لسه فاكر تزرنا دلوقتي.

فردَّ عدلي: مشاغل يا هناء، معلش يا بنت عمي.. فين أينور دي وحشاني أووي متتخيليش اد إيه؟ خرجت الطفلة من غرفتها صارخة بفرحة شديدة عند رؤيتها لعدلي: عمي عدلي وحشتني أوي. وتلقي بنفسها في حضن عدلي وتنظر لها الأم باستغراب وتقول لنفسها: "دانتي مفرحتيش بابوكي لما خرج من المستشفى زي فرحتك بعدلي يا أينور يا ترى إيه الحكاية؟"

وتقول بغيظ ، وصوت عالي: هقوم اجبلك حاجة تشربها يا ابن عمي واسيبك مع أينور.

وضغطت على حروف كلماتها. ردَّ عدلي: ماشي يا هناء. ونادي على أينور وهو يقول تعالي يا أيشت...

ونظرت له أينور بعتاب تقطع كلامه: عمي عدلي انت نسيت ولا إيه؟

فردَّ عدلي بارتباك: صح صح يا أينور يظهر اني اتجننت.. وفي تلك اللحظة خرج فهمي من غرفته ليرحب بعدلي، وقام الأخير من على مقعده ليرحّب به: حمدالله على السلامة يا فهمي.

فيرد فهمي: الله يسلمك يا عدلي يا اخويا والله ليك واحشة فينك يا راجل؟

فيبتسم عدلي قائلًا: موجود في الدنيا الواسعة، وأخبارك إنت ايه يا فهمي دلوقتي، بقيت أحسن؟

فيرد فهمي بجدية: أيوة الحمد لله، أحسن من الأول بكتير. قولّي يا عدلي انت كنت تعرف نادر منين؟

فردَّ عدلي بارتباك: نادر نادر مين يافهمي مش فاكر؟

فقال فهمي بعصبية: نادر صاحب الشقة اللي احنا فيها دي.. فرد عدلي بتوتر: أه، نادر واحد معرفة قصدني اشوفله بيعة في الشقة علشان كان هيهاجر، فردَّ فهمي بلهفة: ومين صاحبك المعرفة دا ويعرف نادر منين؟

ردَّ عدلي بتوتر: إنت بتحقق معايا يا فهمي ولا إيه؟

فهمي: أنا عايز اعرف بس يا عدلي للمعرفة يا رجل مش أكتر. ويصرخ عدلي منفعلًا: وتعرف ليه، إنت مش أخدت الشقة وخلاص ،بلاش ندوّر في الماضي أحسن يا فهمي.

وهنا لاحظ فهمي تغيُّر لون عين عدلي للون البنفسجي، فسكت الأخير ولم ينطق بكلمة واحدة، وتأكد من شكوكه؛ بأن عدلي يعرف حاجة وممكن يكون هو سبب كل حاجة بتحصلة في الشقة الجديدة ، بس استحالة فهمي يحاول يسئلة عن حاجة بعد مشاهدة عينيه وهي تتغير

وتنير الغرفة بلونها البنفسجي المقيت ..و لكني أتسائل ما هي المشكلة عندما تتغير لون عين قريبك الذي يجلس أمامك تتحدث معه لتنير الغرفة المظلمة ؟!

***

أخذت هناء أجازة من العمل حتى تهتم بزوجها في مرضه، واستغلت ذهاب الأولاد للمدارس ونوم زوجها وقررت تنظيف الشقة، ودخلت الأم إلى غرفه ابنتها أينور، وهذه كانت المرة الأولى التي تدخل فيها غرفة ابنتها بعد نقلهم للشقة الجديدة؛ فقد كانت أبنتها ترفض دخول أحد غرفتها أو تنظيفها وتصمم تنظيفها بمفردها، وترفض أن يلمس أحدٌ أشياءها الخاصة أو يدخل غرفتها، دخلت الأم الغرفة، وفتحت النافذة وشاهدت المقابر الكثيرة بشكلها الكئيب، وقالت لنفسها: "عندك حق يا بنتي يجيلك حالة نفسية وتتغيري لما تشوفي المنظر دا كل يوم الصبح وبالليل" رددت الأم قائلة: المقابر دي مش زي أي مقابر انا شوفتها في حياتي أبدًا، دي فيها حاجة غريبة ومرعبة ومش عارفة هي إيه بالظبط. بس الأكيد انها فيها حاجة غلط و مش طبيعية.

أخرجت الأم الأغطية على حافة النافذة ورفعت غطاء السرير (الملاية)، فسقطت صورة غريبة على الأرض كانت تحت الوسادة، ومسكت الأم الصورة بتعجب ونظرت الها بتوتر ,لقد كانت صورة مرعبة لأمراة يبدوا عليها الشر الشديد.. وكتب تحتها "ليليث". فصرت الأم برعب قائلة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، صورة إيه دي يا ترى

؟ووضعت الصورة على المكتب ولاحظت وجود بقعة سوداء كبيرة على الحائط بجوار المكتب واقتربت هناء من البقعة بحزر. ولاحظت أنها بقعة تشبه رسمة العين، ولمستها بفضولٍ.. وهنا انزاح الجدار في الحائط وظهر نفقٌ مظلم كئيب تخرج منه رائحة العفن و يتدلى العنكبوت من سقفة المظلم ...و...

***

في قسم الشرطة

رفع الرائد محمود يده مؤديًا التحية العسكرية لرجال الشرطة، وقال: تمام يا فندم كل تحريتنا عن عدلي سليمان بتأكد انه عضو في جمعيه العشرين شيطان اللي إتكلم عنهم الحظرد يا فندم.

فردَّ اللواء ناجي بقلق: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واتاكدت يا محمود، احنا مش عايزين بلبلة في البلد، كفاية اللي احنا فيه وظروف البلد مش ناقصين.

ويرد محمود بجدية: التحريات أثبتت إن عدلي سليمان كان على علاقة قوية بالمدعو شوكت السلحدار من سنين، وأكدت التحريات إن عدلي شوهد بجوار القبر البنفسجي أكتر من مرة، وفي كل مرة كانت بتحصل جريمة قتل..

وأخر مرة شوهد عدلي وهو يقود حافلة لونها بنفسجي، والغريب يا فندم و الحافله دي أو الأتوبيس عليه صورة للمقابر اللي جرايم القتل بتحصل فيها.. فقال اللواء ناجي بجديه: وأصدرت أمر بالقبض عليه؟

محمود: لا يا فندم: لأن كل تحريتنا اشتباه، مفيش دليل قوي يخلي النيابة تدينا الإذن بالقبض على المتهم.

فرد اللواء مستفسرا:والأتوبيس اللي بتتكلم عنه دا فين دلوقتي؟ حاولوا تفتشوه كويس أكيد هتلاقوا فيه أي دليل بصمات نقطة دم، أي دليل يا سيادة الرائد يساعدنا في القضية .

محمود: للأسف يا فندم، أتوبيس الموت.. وهنا قاطعه اللواء قائلًا:

أتوبيس إيه ياسيادة الرائد؟

ابتسم الرائد محمود معلقا: إحنا أطلقنا عليه الاسم دا يا فندم لأن كل مابيظهر لازم تحصل جريمة قتل غامضة وأتوبيس الموت كل التحريات أثبتت انه بيظهر بجوار المقابر وبيختفي أيضا بجوار المقابر.. والتحريات مستمرة لحين ظهور أدلة جديدة في القضية.

***

كانت تركض مسرعه في سعادة وهي ترتدي ثوبها الأبيض وكأنها تطير طيرا فقالت لوالدها: بابا حبيبي وحشتني أوي يا بابا فيرد فهمي بلهفة قائلًا: أينور حبيبتي: انتي فين يا بنتي وسيباني ليه لوحدي؟؟، تعالي يا أينور انا محتاجلك معايا أوي يا بنتي. فتبتسم

الطفلة وهي تركض من أمامه مسرعة ثم تقول : أنا هنا يا بابا جنبك وعمري ماهسيبك أبدًا.

فهمي بلهفة: هترجعلنا إمتى يا أينور ؟

فترد أينور بسعادة: أنا معاكم يا بابا علطول وبشوفكم كل يوم وبطمّن عليكم متخافش .

ويتساءل فهمي قائلًا: ومين اللي عايشة معنا دي يا أينور؟ قوليلي يا بنتي وريّحي قلبي.. وهنا يتغير وجه الطفلة وتشعر بألم فترد بصوت متألم قائلة: بابا إنقذ ماما بسرعة، مفيش وقت أرجوك.

فيصرخ الأب بلوعة: مالك يا أينور؟ مالك يا حبيبتي؟

فترد أينور بسرعة: مفيش وقت اتحرك بسرعة، خد يا بابا دا ميساعدك... ومدت يديها بمفتاح غريب الشكل والملمس .

فتناول فهمي المفتاح وهو يتساءل مندهشا: مفتاح إيه دا يا أينور ؟؟.وكرر الأب سؤاله مستفسرا مفتاح إيه دا يا أينوررر؟؟؟ولكنها لم تجبه و تركته حائرا ورحلت تركض من أمامه وأختفت وسط الغيوم البيضاء

واستيقظ فهمي مفزوعًا على صرخة هناء العالية وهي تنادي عليه مستنجده.

وفتح فهمي يده بفزع وشاهد المفتاح الغريب الذي أعطته له ابنته في الحُلم ونظر له برعبٍ متعجبًا. ثم أسرع يغادر الغرفه ليرى ماذا حدث لزوجته ولماذا تصرخ برعب مستنجدة؟؟؟

***

في مدرسة أينور

كان الجميع يخافها ويتجنبها بعد مقتل صديقتها الوحيدة ريهام: فلقد سمع الجميع أينور وهي تقول لصديقتها صائحة " هتندمي ندم عمرك يا ريهام" وبعدها مباشرة قُتِلَت الطفلة بوحشية: فكان الكل يتجنبها ويخشها ويعمل لها ألف حساب قبل أن يتحدث معها أو يطلب منها شيئًا. حتى المدرسين أصبحوا يخافون منها ويتجنبونها ويكرهون الحصص التي في فصلها لأن لون عينيها يتغير عندما يؤنبونها على فعل شيء.. فكان الجميع يكره تلك الطفلة بشدة ويتجنبها: خوفًا منها و تجنبا لشرها إلا مدرّسة الحساب "ميس رشا". كانت تعاملها كباقي التلاميذ في الصف ولم تفرق في المعاملة لقد شعرت المعلمة بأن الطفلة تحتاج الى أخصائية نفسية لتتحدث معها فهناك شيء خاطىء يحدث معها و ترفض أن تخبر أحد بيه.

فقالت المعلمة رشا: أينور، قومي حلى المسألة دي على السبورة.

فردت أينور ببرودٍ قائلة: مش عارفة يا ميس رشا..

وهنا ترد عليها بهدوء قائلة: إنتي كاتبه الواجب كله صح يا أينور مين يا حبيبتي ساعدك فيه.. فردَّت الطفلة بتعجُّب من طريقتها الهادئة: أينور اللي حلت الواجب لوحدها.

فنظرت لها المدرسة رشا بحيرة قائلة:طيب وانتي مين يا حبيبي..

وهنا تنظر الطفلة باندهاش إلى المعلمة فلم توبخها أو تعاقبها كباقي المدرسين أو حتى تعاملها بطريقة سيئة بل العكس ما حدث: فكانت تعاملها بطيبة وحنية، لم تكن مثل باقي المدرسين أبدا فقالت أينور بتردد: إفرضي انا مش أينور هتزعلي مني وتكرهيني يا ميس رشا؟

فردَّت رشا: لا يا حبيبتي سواءإنت أينور أو لا، فأنت تلميذة شاطرة وبحبها وعايزاها تكون أحسن واحدة في الدنيا دي كلها فنظرت لها أينور بحب قائلة: بجد يا ليليث مش هتعذبيني تاني.

فتعجبت المدرسة من الاسم ورددته قائلة: ليليثْ ليليث مين يا أينور؟ ولكن الطفلة لم ترد عليها او تجيب عن سؤالها بل رحلت مسرعة وغادرت الفصل ،فشعرت رشا بالتوتر والقلق من كلام أينور.. لم تشعر بالارتياح أبدًا لاسم لليليث، ورن جرسَ الفسحة وخرج الأولاد سريعًا إلى الملعب وخرجت رشا من الفصل غارقة في أفكارها و في اينور وتفكر في ليليث من تكون؟ فلم تنتبة إلى قدم إحدى صديقاتها فدهستها بقوة فصرخت الصديقة بألم قائلة: مش تاخدى بالك يا رشا، ماشية سرحانه بتفكرى في مين انطقي؟

فنظرت رشا إلى صديقتها بلهفة وكأنها وجدت طوق النجاة الذي هبط عليها من السماء، فقالت رشا بلهفه: سحر، جيتي في وقتك والله، أنت مش مدرّسة درسات اجتماعية صح؟ يعني تعرفي تاريخ مش كدة ولا إيه؟ وتضحك سحر بعنف قائلة: طبعًا، أنا خريجة آداب قسم تاريخ ولا سيادتدك نسيتي.. فتحمد رشا ربها ثم تقول: قوليلي يا سحر مين هي ليليث؟

فترد سحر برعب: ليليث يا ساتر يارب ليه يا رشا؟!

فتسألت رشا قائلة: ومالها ليليث دي يا سحر؟ إتخضيتي ليه كدة لما سمعتي إسمها؟

فردت سحر قائلة: لان لليليث يا رشا هي.. شيطانة الموت.

فصرخت رشا برعب: يا ساتر يارب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. فقالت رشا بفزع: شيطانة الموت ودي حقيقة يا سحر ولا إيه من فضلك ياريت تفهميني قصتها؟؟ فأخبرتها زميلتها بأن ليليث الشيطانة المتمردة وأسطورة ليليث أو شيطانه الموت وقاتله الأطفال..

ليليث وهي الرياح التي تحمل الموت..

ليليث هي السبب في إجهاض النساء؛ انتقامًا لأولادها الذين قُتِلوا.

ليليث تعشق قتل الأطفال الصغار الرضع وخصوصًا الذكور.

فعندما تجد طفلك الرضيع يضحك فاعرف بأن ليليث موجودة بالغرفة وتريد قتله.. اضرب الطفل على شفتيه بإصبعك حتى ترحل ليليث، اكتب

هذه التعويذة لحماية طفلك من القاتلة شيطانة الموت: سينوني.. وسنسنوني.. وسامينجيلوف.

وهم أسماء الملائكة الذين توعدوا ليليث بعد أن رفضت العودة معهم وعشقت الشيطان وتزوجته وأنجبت منه باليوم 100 ولد. فقام الملائكة بقتل أولادها عقابًا لها. فقررت الانتقام من أبناء حواء وحرق قلوب أمهاتهم بقتل الأطفال الرضع والأجنة في رحم أمهاتهم. فاحذر من ليليث.. وراقب طفلك وهو نائم.. فليليث تترقب.. تنتظر...ظلت هذة المعتقدات سائدة لقرون، حتى القرن الثامن عشر.

أسطورة ليليث، أسطورة يهودية ولاتمس للإسلام بأي صلة. ففي الكتب المقدسة اليهودية يدعون بأن ليليث هي زوجة سيدنا آدم الأولى وفقًا لنصوص: زهار في كتاب ابن سيرا، وترجع كتابته للقرن الثاني عشر....و هنا أنهت سحر كلامها لزميلاتها وهي تقول بقلق: عرفتي بقى مين ليليث يا رشا دلوقتي ؟

فشعرت رشا بالرعب وهي تفكر لماذا نادتها أينور بليليث؟ وقررت أن تسألها بنفسها، وذهبت إلى الفصل واستأذنت من مدرس اللغة العربية، وأخذت أينور من الحصة وسألتها مباشرة :أينور، إنت تعرفي ليليث منين ؟

ابتسمت الطفلة قائلة: أعرفها كويس أوي يا ميس رشا.

فقالت رشا برعب: قريتي عنها في كتاب ولا حد حكالك عنها ياحبيبتي. فتنظر لها أينور ويتغير لون عينيها قليلًا وترد قائلة: لا... هي اللي حكتلي حكايتها كلها بنفسها.. ثم تبتسم الطفلة و تضع يدها على بطن المعلمة و تكمل قائلة: وماتخافيش يا ميس رشا. أنا قولتلها متقرّبش منك ولا من البيبي اللي في بطنك، فشعرت رشا برعبٍ وتوتر شديد ومغص في معدتها فأبتعدت للوراء و هي تنظر بذهول و رعب للطفلة التي تقف أمامها لا تصدق ما تقول ....لأنها اليوم صباحًا أجرت اختبار الحمل صباحًا وتفاجأت بأنه خطان، ولكنها لم تخبر أحدًا بالأمر فلا أحد يعرف موضوع حملها أبدًا ولا حتى زوجها، فكانت تنوي أن تجعلها مفاجأة عندما تعود من المدرسة.

***

في قسم الشرطه

كان الرائد محمود يتحدث في الهاتف ويصرخ بقوة قائلا: أنت بتقول ايه؟ ازاي دا حصل يعني.. إيه الكتاب اختفى..؟

الفصل العاشر
الممر السري والعين السوداء

استيقظ فهمي من نومه على صراخ زوجته فقام مسرعًا باتجاه صرخة زوجته إلى غرفة أينور، ولم يلاحظ تلك الأيادي السوداء التي خرجت من أسفل الأرض فجذبته بقوة، فسقط فهمي على وجهه وهو يصرخ برعب متألمًا..

وفي الغرفة الأخرى، غرفة أينور حيث كانت هناء ترى الممر أمامها فصرخت برعبٍ تستغيث وتنادي على زوجها.. فسمعت صوته وهو يرد عليها ثم يسقط على الأرض ويصرخ برعب فأسرعت إليه وتركت كل شيء خلفها وشاهدته على الأرض..

فقالت برعبٍ وقلقٍ: فهمي جرالك إيه؟ أنت كويس؟ قوم يا فهمي معلش يظهر إن الأرض لسه مبلولة من التنضيف.

فقال فهمي برعب: مش عارف يا هناء حاسس زي ماتكون إيد شدتني فوقعت على الأرض ، ثم تذكَّر فهمي فسألها قائلًا: وإنتي كنتي بتصرخي ليه؟

فقالت هناء برعب غير مصدقه: تعالى اوريك مش هتصدق عنيك يا فهمي و الله. وأخذت زوجها من يديه إلى غرفه ابنتها أينور فكانت المفاجأة تنتظرها في الحجرة..

وهنا قال فهمي متألمًا من أثر السقوط على الأرض: فيه إيه يا هناء؟ فنظرت هناء بذهول إلى مكان الممر فلم تجد شيئًا وقالت لزوجها: دا كان هنا من دقايق يا فهمي و الله، وأسرعت إلى الجدار بجوار المكتب تبحث عن العين السوداء ، و النفق المظلم فلم تجد شيئًا.

فردَّ فهمي: هو إيه اللي كان هنا دا يا هناء؟

هناء بحيرة: مش عارفة زي مايكون نفق أو ممر سري، ظهر لما ضغطت على رسمه عين في الحيطة، معقول يكون بيتهيألي و اكون كنت بحلم ,وظلت هناء تفتش وتبحث عن العين وعن الممر والنفق المظلم، وغادر الزوج الحجرة وتركها حائرة وصممت الأم أن تعرض ابنتها على طبيب نفسي؛ الطبيب مجدي جارهم.

***

وعند عودة أينور من المدرسة أخذتها الأم وذهبتا إلى عيادة الطبيب، ودخلت الأم إلى الطبيب بمفردها، وحكت له عن الطفلة وتغيُّر حالها وتصرفاتها من بعد الانتقال إلى الشقة الجديدة، ودخلت الطفلة بعد ذلك، وفي حجرة الكشف كانت تجلس أينور باسترخاء شديد وتبتسم، فقال الطبيب: ازيك يا أينور؟

فردَّت أينورر: الحمد لله كويسة أووي يا عمي مجدي.

مجدي: إيه رأيك يا أينور نكون أصحاب ونحكي لبعض عن مشاكلنا و اللي مزعلنا.

أينور: طيب مش الأول لما نعرف أسامي بعض.

مجدي: خلاص يا أينور تحبي اناديكي بإيه .

فقالت أينور: تناديني باسمي الحقيقي طبعا أيشتور.

مجدي: أيشتور. إيه الاسم الجميل دا.. وجبتيه منين يا أينور؟

فترد أينور بغضب: قولتلك اسمي أيشتور يا دكتور مجدي ...و هنا تغير لون عينيها قليلًا وهي تنظر له بتحدٍّ.

فشعر الطبيب بالرعب عندما تغيَّر لون عينيها للون البنفسجي وقال بتوتر: خلاص يا أيشتور. وهنا عادت عيناها لطبيعتها وتساءلت أينور:

إيه رأيك في اسمي يا عمي مجدي؟

فرد الطبيب: جميل أوي، بس اشمعنى الاسم دا..؟

فردت أينور: ماما اللي سمتني أيشتور قبل ما أتولد. بس بابا مكنش عايز أيشتور تعيش، وماما قالت للدكتور يموّتني. أنا كنت سمعاهم كويس أوي هما مبيحبونيش أبدًا بيحبوا أينور..

شعر الطبيب بالقلق والتوتر من كلام أينور الغريب، وطلب منها أن تذهب الآن وسيتقابلون مرة أخرى حتى تقص عليه قصتها كلها وازاي أهلها كانوا عايزين يموّتوها.. فشعرت الطفلة بالسعادة مع الطبيب؛ بأنه سيستمع إلى قصتها. وعند خروجها من باب الغرفة التفتت إلى الطبيب ثم قالت محززه: أيشتور مبتحبش حد يكذب عليها... لو قلت لحد سري هتندم ندم عمرك يا مجدي.

وشعر مجدي بالرعب الشديد من أينور ومن طريقتها بالتهديد. وخرجت أينور ودخلت الأم بعدها بمفردها تسئل عن ابنتها وماذا بها....؟ فأخبرها الطبيب مجدي قائلا: بنتك عندها انفصام في الشخصية وحالة اكتئاب

شديد. ياريت تسافروا وتغيروا جو شويه بعيد عن الشقة وجو المقابر والموت وحبها لمشاهدة المقابر كل يوم دا كله اثر علي حالتها النفسية .

***

كان فهمي يجلس بغرفة ابنته أينور ويمسك المفتاح الغريب الذي أعطته له ابنته في الحلم وهو متأكد بأن كل ما شاهدته زوجته حقيقي وليس خيالًا فقال محدثا نفسه أكيد في سر في الأوصة دي؟ وتساءل فهمي قائلًا: يا ترى مفتاح إيه دا؟ وقطع حبل أفكاره، ولداه الصغيرين: إيناس وإيهاب وهما يدخلان الغرفة.. و قالا بصوتٍ واحدٍ: بابا إحنا عايزين نرجع شقتنا القديمة، مش عايزين نعيش هنا، إحنا بنكرة البيت دا يا بابا، ارجوك خلينا نمشي بسرعة قبل فوات الأوان.

وتساءل الأب: ليه كدة يا ولاد؟؟ فترد إيناس بسرعة وبرعب شديد: إحنا خايفين الشيطان يحبسنا زي محابس أينور أختنا.

و هنا ردَّ الأب سريعًا: شيطان إيه يا إيناس أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

إيهاب برعب: الشيطان أبو قرون سودا يا بابا.

فهمي بتوتر: إنتوا بتقولوا إيه يا ولاد؟!

إيناس: لازم نمشي بسرعة قبل أيشتور ماترجع يا بابا احنا عارفين كل حاجة هي قالتلنا الحقيقة.

فهمي بتوتر حقيقي: أيشتور مين.. فصرخ الطفلان بصوت واحد: اختنا يابابا....و في تلك اللحظة عادت الأم إلى البيت هي و أينور و أسرعا الطفلان يختبئان في غرفتهم بعد رؤية شقيقتهم تنظر لهما بعيون بنفسجية .

و قصّت الأم لزوجها حديثها مع الطبيب وقرروا أن يغادروا الشقة الجديدة ويسافروا إلى الإسكندرية لمدة اسبوع لتغيير جو قليلًا, وأعدت الأسرة الحقائب وأسرع الطفلان بالنزول إلى سيارة الأجرة أسفل البيت. لكن أينور رفضت الرحيل وترك غرفتها، وظلت تصرخ وهي تنظر للمقابر وتصرخ برعب قائلة: مش هسيب أوضتي أبدًا.

وصرخت هناء بألمٍ: هنعمل إيه يا فهمي هنسيب أينور كدة تضيع مننا دي أينور يا فهمي أينور...

تذكَّر الأب كل تلك الأحداث التي مرت عليه منذ انتقاله لتلك الشقة المشئومة وهو يشاهد ابنته تنظر من نافذة غرفتها بشرود إلى المقابر في دنيا أخرى لا تسمع ما يقال لها.

الفصل الحادي عشر

أينوررر أو أيشتوررر

صرخت الأم: هنتصرف إزاي يا فهمي أينور بتضييع مننا، هنعمل إيه؟ هنسيبها كدة دي أينور يا فهمي.. ورددت الأم كلامها وهي تبكي بقهره. وتذكّر الأب تلك الأحداث ومرت عليه وكأنها فيلم سينمائي يرى أحداثه المرعِبة، ولكن للأسف كان هو بطل الفيلم. وقرر الأب أن يعرف الحقيقة مهما كانت و مهما كان الثمن، ومن تلك الفتاة التي تعيش معه منذ انتقل للعيش في تلك الشقة المشئومة.. هل هي أينور ابنته ام هي روح أيشتور ابنته الثانية و إذا كانت هي روح أو عفريت ابنته الثانية لماذا عادت الآن؟وماذا تريد منه؟

وهنا التفت فهمي إلى هناء بعد أن اتخذ قراره... وطلب منها السفر هي و ولدية إيناس وإيهاب وتركه بالمنزل مع أينور.

فقال فهمي أمرا: أنزلي سافري مع الأولاد يا هناء ,وانا هستنى هنا مع أينور كام يوم لغاية ما حالتها تتحسن وبعدين هنحصلكم على اسكندرية، وزفر بقوة ثم أكمل قائلا : إوعي ترجعي مع الأولاد من غير ما اتصل بيكم الأول يا هناء.

وصرخت الأم برعبٍ غير مصدقة مايقوله زوجها فقالت: إنت بتقول إيه يا فهمي؟ عايزني اسيبك أنت وأينور هنا لوحدكم، واسافر لوجدي..؟ من إمتى إحنا بنفترق عن بعض وحد بيسافر لوحده.

فرد فهمي بجِدّة: مفيش وقت يا هناء للعواطف دي دلوقتي، سافري مع الأولاد وانا هحصّلك ودا قرار نهائي.

وتبكي هناء بقهره: مش هقدر اسيبك لوحدك انت وأينور.

فيرد فهمي بلين: معلش يا هناء، الظروف هي اللي حكمت علينا بكدة والأولاد محتاجين يغيروا جو، انتي شايفة الرعب اللي هما فيه.. وأكمل حديثه: مش شايفة إيناس خست أزاي ووشها بقى اصفر ، ولّا إيهاب اللي مبقاش بيأكل تقريبًا، و هنا ترد هناء والدموع في عينيها قائله:

أوعدني انك ترجّعلي أينور وترجعلي بالسلامة.

فهمي بقلق: إن شاء الله يا هناء، يلا العربية واقفة تحت البيت مفيش وقت للعواطف دي دلوقتي وخدي بالك من الأولاد ومن نفسك ومترجعوش الشقة غير لما اتصل بيكم يا هناء ارجوك.

***

ورحلت الأم وهي تبكي لتركها ابنها وزوجها في الشقة المشؤمة التي منذوا أن أخدوها وحالتهم تغيرت كثيرا،واصبح كل واحد في وادي، وتمنت أن تعود إلى شقتها الصغيرة مرة أخرى وتعود أسرتها كما كانت من قبل، تمنت أن تكون تحلم وكل هذا لم يحدث في الحقيقة وتفتح عينها فتجد كل شيء مثل الأول وكل هذا مجرد كابوس وستفوق منه، وحاولت إغلاق عينها بقوة وفتحها لعله كابوس و سينتهي سريعا، ولكن للأسف فهذا هو الواقع وتعيش فيه، ونزلت إلى أطفالها في سيارة الأجرة والدموع تملأ عينيها، وتساءل الطفلان عن الأب، فقالت إيناس تنادي أمها: ماما يا ماما فين بابا ؟

فردت الأم من بين دموعها قائلة: بابا هيستنى مع أينور كآم يوم ويبقى يحصّلنا إن شاء الله على اسكندرية.

وهنا صرخ إيهاب برعبٍ وهو يرتعد قائلًا: ليه يا ماما. انتي متعرفيش إن الشيطان أبو قرون سودا مش هيسيبه يرجّع أينور تاني. وانفجر الطفل في بكاء هستيري ونحيب، وحاولت الأم تهدئته ولكن قلبها كان مشغولًا بابنتها وزوجها اللذين تركتهما في الشقة المشئومة ورحلت، وقالت لنفسها: "في حاجة مش طبيعية في الشقة الجديدة" وحاولت الاتصال بزوجها لكي تطمئن على ابنتها وتتخلص من شكوكها، ولكن لم يجيب زوجها او ابنتها على الهاتف. فشعرت بالقلق والتوتر يعصف بكيانها وقررت العودة مرة أخرى إلى الشقة المشئومة لتطمئن على ابنتها وزوجها، وقالت لسائق السيارة برجاء: ارجع معلش يا أسطى، نسيت حاجة مهمة في الشقة... وسكتت قليلا ثم أكملت: وبسرعة لو سمحت مفيش وقت.. فنظر لها السائق بتعجب وردد: مفيش وقت لإيه يا مدام؟ فلم ترد هناء أو تنظر إليه فلقد كان عقلها مشغولا بابنتها وزوجها.

***

اقترب الأب من ابنته أينور التي كانت تنظر باهتمامٍ شديدٍ وشرودٍ للمقابر ونادى عليها: أينور أينور.

ولم ترد أينور فقال فهمي بتردد: أيشتور.

فنظرت أينور له ببرودٍ: أخيرًا عرفت أنا مين..؟

فيندهش الأب ويتساءل بلهفه قائلًا: أختك فين يا أيشتور..؟

فترد الطفلة قائلة: كده يا بابا لسه بتسأل على أختي و نسيني..؟ ثم تبتسم بمرارة قائلة: كل اللي يهمك أختي لسه خايف عليها وبتحبها يا..بابا.

فرد فهمي بقلق: عشان خاطري يا بنتي فهميني الحقيقهة.إنت مين أينور ولا أيشتور ولو أيشتور ازاي، وكنتي فين السنين دي كلها وفين اختك أينور ؟

فترد أينور بحزن: إنت مكنتش بتحبني صح؟ وكنت عايزني اموت مش كدة.. فرقّ قلب الأب وهو يتحدث معها قائلًا: لا يا حبيبتي الدكتور هو اللي قال لازم واحدة تموت وهناء اختارت اسم أينور، لكن مكنّاش نعرفك ولا نعرف أختك أحنا أختارنا الاسم بس، انتي كنتي مجرد جنين في بطن أمك يا بنتي، فردت أينور وهي تصرخ قائلة: واخترت أينور تعيش وانا اموت صح كنتوا بتكرهوا اسمي..

فهمي: لا انا مكنتش اعرف مين فيكم اللي ممكن اضحي بيها بس الدكتور هو اللي قال...

و هنا تصرخ أينور قائلة: وما خدتنيش ليه تشوفني.. تدفنّي يا بابا وكأنك كنت بتتمنى اني اموت وتعيش أختي أينور.

فيرد الأب وهو يصرخ بلوعة: لا يا أيشتور، أنا كنت خايف على هناء ومحدش قالي حاجة، صدقيني ومش فاكر إيه اللي حصل بعد كدة خالص صدقيني يا بنتي.

أينور: إنت عارف مين اللي رباني وكبرني يا بابا..؟ ويرد الأب بلهفة حقيقية:

مين يا أيشتور يا بنتي مين..؟

وهنا أطلقت الطفلة ضحكة عالية كضحكات الساحرات، وقالت بصوت مخيف: الشيطان ابو قروون سوداااااااااا.. وتردد صدى ضحكاتها في المكان: تعالى معايا هو مستنيك دلوقتي، تعالى علشان تشوف بنتك أينور. وهنا ضغطت على رسمة تشبه العين بالجدار بجوار المكتب، وانزاح الجدار وانقسم الحائط إلى نصفين وظهر الممر الأسود الطويل أمامهما مباشرة..

***

وعادت هناء بسيارة الأجرة مسرعة إلى الشقة المشئومة، وفتحت باب الشقة، ونادت على زوجها وابنتها بصوتٍ عالٍ قائلة: فهمي.. أينور. وصُدِمَت الأم عندما لم تجد غرفة أينور بمكانها، وأغمضت عينيها وفتحتها بقوة لعلها تحلم وما تراه ليس حقيقيًّا؛ فلم تجد شيئًا، بل وجدت مكان الغرفة، شرفة. صغيرة صرخت الأم برعبٍ وأسرعت تدخل تلك الشرفة فوجدتها تطل على شارع رئيسى للسيارات، ولم تجد المقابر

ولا القبر البنفسجي، ولا زوجها أو ابنتها فصرخت هناء برعبٍ قائلة: فهمي... أينورر..

***

في قسم الشرطة

كان اللواء ناجي يصرخ بشدة: إزاي يا سيادة الرائد الكتاب يختفي معقول يظهر إنكم بتهرجوا في الأدارة و مش قد المسؤلية.

فقال الرائد محمود بتوتر: صدقني يا فندم، إحنا مش عارفين دا حصل ازاي؟ الكتاب كان في مكان استحالة ان حد يقدر يوصله إلا... فيقاطعه قائده بثورة: إلا إيه يا سيادة الرائد اتكلم وضحكني.

فيرد محمود بتردد: إلا لو كان كائن مش بشري يا فندم.

فيصرخ القائد: إنت بتهرج ولا إيه يا محمود، احنا هنؤمن بالخرافات دي ولا إيه؟

فيرد محمود بثقة: بس الجن يا فندم والشياطين مش خرافة، دول مذكورين في القرآن الكريم.

فيرد ناجي بسخرية : إنت تقصد تقول ان الجن والشياطين هما اللي أخدوا الكتاب.. وضحك اللواء ناجي بصوتٍ مسموعٍ ثم قال :مش عايز تهريج يا سيادة الرائد، ناقص تقولي ان الشياطين كمان هما اللي..

ولم يكمل جملته الأخيرة، فلقد ظهرت الأيادي السوداء من خلفه وجذبته إلى داخل الجدار..

وهنا وقف الرائد محمود ينظر بذهولٍ إلى الجدار وهو يردد برعب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويردد آية الكرسي والمعوذتين غير مصدق ما يري.

***

أخبار الحوادث

العثور على جثة متحللة لرجلٍ في العِقد الخامس من العمر، قُتِل منذ أكثر من سنة في أحد المباني الجديدة القريبة من المقابر. وبعد التحريات، ثبت أن الجثة للمدعو "عدلي سليمان السيد"، والغريب أن زوجته أكدت أن زوجها كان معها أمس فقط، وخرج ولم يعد، ولكن وجود البطاقة الشخصية للقتيل وتحليل الحامض النووي الـ "دي إن إيه" يؤكدان بأنه المذكور المدعو: "عدلي سليمان السيد "السمسار.

الفصل الثاني عشر

منذ سنين طويلة وقبل ولادة أينور

منذ سنوات طويلة، من قبل أن تبدأ قصتنا.. منذ أكثر من خمسة عشر عامًا..

وفي منزل قديم يتكون من طابقين، كان يعيش أحد الأطباء "الدكتور شهاب محمد أحمد" طبيب النساء والولادة هو وزوجته الدكتورة منال متوسطة الجمال شعرها أسود قصير وعينان عسليتان ولون قمحي طبيبة أطفال، قررت الجلوس في البيت للاهتمام بابنتها "حبيبة"، عمرها خمسة شهور. ورث الطبيب المنزل عن عمه غريب الأطوار الأستاذ "عزت أحمد المنياوي" أستاذ بالجامعة قسم تاريخ وحضارات، لم يتزوج؛ فلقد كرَّس حياته لجمع معلومات عن الحضارات القديمة والحديثة وبالعلم وبالقراءة، ومات وترك المنزل للوريث الوحيد ابن أخيه شهاب، وعاش الطبيب بعد وفاة عمه هو وزوجته بالمنزل.. كما هو لم يقوما بأي تغيرات نظرًا لضيق الحال وارتفاع أسعار الشقق. كان عم شهاب يحب القراءة وخصَّص غرفة كبيرة لكتبه الكثيرة التي تتكلم عن أشياء كثيرة وعلوم مختلفة، وقرر الطبيب التخلص من تلك الكتب واستغلال الغرفة، فقال لزوجته: منال، أنا هحاول اشوف الكتب الكويسة في المكتبة نحتفظ بيها والباقي نتخلص منه علشان الزحمة والكركبة الكتير. فردَّت الزوجة وهي تحمل طفلتها الصغيرة بين يديها قائلة: خلاص يا شهاب بس من فضلك وريني الكتب اللي هتتخلص منها يمكن حاجة تعجبني، إنت عارف إن بعشق القراءة.

شهاب: حاضر يا حبيبتي، بس مش عايز إزعاج لوسمحتي، لو حد اتصل قوليله يتصل في وقت تاني لأني مش فاضي.

ودخل الغرفة، وكانت كمية الكتب كبيرة وضخمة، متناثرة في كل مكان، وبدأ يقرأ اسماء الكتب الكابالا- المشعوذون -ساحرات ولكن - القديس- السحر الأسود والعزيف، وظل يحدق في الكتب برعبٍ شديدٍ، وقال لنفسه بتوتر: "دي كلها كتب بتتكلم عن السحر الأسود وتحضير الكيانات المختلفة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. اول مرة اعرف ان عمي عزت كان مهتم بالعلوم دي، لازم احرق الكتب دي كلها .و اتخلص منها. أعتقد إنها تساوي ثروة للأشخاص المهتمين بالأمور دي."

وهنا وقف شهاب وهمَّ بمغادرة الغرفة فشعر بريح شديدة البرودة وسمع صوت مثل صوت الريح وصفيرها في أذنه واخذ أحد الكتب يقلب صفحاته بسرعة شديدة إلى أن توقف عند صفحة لامرأة شديدة الجمال والفتنة والأنوثة وهي تبتسم ابتسامة ماكرة تخبرك عيناها بالمكر والدلال، وشعر الطبيب وكأن المرأة تكلمه، تبتسم له، تنادي عليه، تنتظره.. فقرأ الاسم أسفل الصورة "ليليث"، فردد الاسم بهيام "ليليث" وقال بهيام: اسم جميل أوي ليليث.. حاول قراءة ما أسفل الصورة، ولكنه باللغة اللاتينية، كان يعرف بعض الكلمات اللاتينية بحُكم دراسته، ولكنه لا يتقنها، فقال لنفسه: لازم أتعلم لاتيني واعرف عنك أكتر يا فاتنة، وشعر شهاب بأن صورة ليليث تغمز له بعينها فابتسم بهيام وقرأ اسم الكتاب: "العزيف".

***

ليليث شيطانه الموت وقاتلة الأطفال.

لو جدت طفلك يضحك وهو نائم فاعلم بأن ليليث موجودة بالغرفة تريد أن تقتله، اضرب طفلك بإصبعك على فمه حتى ترحل ليليث.

حصّن طفلك بأسماء الملائكة الذين توعدوا ليليث عندما رفضت العودة معهم وعشقت الشيطان وتزوجته. فقتلوا 100 طفل من أبنائها فقررت ليليث الانتقام من أبناء حواء وحرق قلب أمهاتهم، فحصّن أطفالك بتلك التعويذة وهم أسماء الملائكة: سينوني - سنسنوني - سامينجيلوف.

***

خرج شهاب من الغرفة وهو يشعر بالسعادة والنشوة من صورة ليليث الفاتنة وتمنى أن تكون حقيقة وليست مجرد صورة لامرأة فاتنة. فقالت زوجته بدهشة وهي تجد زوجها لا يحمل شيئًا في يده: فين الكتب اللي هتتخلص منها عايزة أتفرج عليها يا شهاب؟ فلم يرد الزوج أو حتى يسمع زوجته فنادت الزوجة قائلة: شهاب.. ولم يسمع ما تقوله زوجته فلقد كان غارقًا بتفكيره في صورة ليليث. وصرخت منال في زوجها، فالتفت لها قائلًا: إنتي بتقولي حاجة يا منال مش واخد بالي، معلش سرحت شوية فنظرت له الزوجة بتعجُّب قائلة: سرحان في إيه يا دكتور؟

فردَّ الزوج بتردد: ولا حاجة، بس خسارة نفرّط في الكتب، دي كلها كتب نادرة وقيّمة.

منال: براحتك مدام عجبينك أوي كدة.

شهاب: تمام كدة، هروح انا بقى هروح العيادة لأني أتأخرت.

فسألته منال: أحضرلك الغدا بسرعة؟

شهاب: لا يا حبيبتي ماليش نِفس.

وغادر الغرفة مسرعا تاركا زوجته في حيرة وتتساءل ماذا حدث له بداخل غرفة المكتب، فلم يكن كذلك قبل أن يدخل الغرفة؟ وتعجبت منال، ولكنها لم تعلق بشيء فلقد صرخت ابنتها الصغيرة وذهبت مسرعة لتراها ولم تهتم لأمر زوجها.

وبعد منتصف الليل، رن جرس الباب في منزل شهاب، فقام مفزوعًا من نومه على صوت الجرس المتواصل وذهب ليفتح الباب فوجد رجلًا عجوزًا يرتدي "بنطلون" أسود و"تيشرت" أسود فتساءل شهاب بشكٍّ:

إنت مين وعايز إيه بالظبط؟

وردَّ الرجل الغريب قائلًا: بلاش تلعب بالنار يا ابني آخرة اللعب بالنار وسكت قليلًا ثم نظر لعين شهاب وأكمل قائلًا: الموت.

وسقط الرجل على الأرض فاقد الوعي، وحاول شهاب إسعاف الرجل، وهنا أتت زوجته وهي مرعوبة وتساءلت: فيه إيه يا شهاب؟

فردَّ شهاب: ساعديني يا منال نحاول نفوّقه وهاتي لي.. فصرخ برعب: دا مااااااااااااااااات.

***

واتصلت منال بالشرطة التي جاءت مسرعة بعد ساعتين.
الضابط: فين القتيل يا دكتور شهاب اللي بتتكلم عنه؟

شهاب: كان قدام باب البيت يا حضرة الظابط.

فقالت منال برعب: كان على الأرض من دقايق ثم انهارت في بكاء هستيري فضمها زوجها إلى صدره وحاول تهدئتها قائلًا: خلاص يا منال اهدي مفيش حاجة.

الضابط بشكٍ: إحنا فتشنا البيت والجنينة شبر شبر مفيش أي حاجة. يظهر إنكم كنتم بتحلموا أو بيتهيألكم. يا ريت تتأكدوا كويس قبل الاتصال بالشرطة ومش هعملكم بلاغ كاذب وإزعاج للسلطات. وأكمل الضابط حديثه: وابقوا ناموا خفيف علشان الكوابيس.. يلا يا ابني إنت وهو.

فنظرت منال لزوجها قائلة: معقول يكون كان بيتهيألنا يا شهاب. أنا شفت الراجل بعيني وهو واقع على الأرض.

فنظر لها شهاب: إحنا مكناش بنحلم يا منال ودا أكبر دليل، ساعة الرجل.. وقعت منه وانا بحاول أقيس النبض. ورفع شهاب الساعة أمام وجه زوجته. فصرخت الزوجة برعبٍ قائلة: طيب راح فين ؟إنت متأكد انه كان ميت يا دكتور..؟

***

بعد الحادثة مباشرة، طلبت الزوجة أن تذهب لبيت أسرتها لبضعة أيام حتى تريح أعصابها وتنسى الموقف وما حدث.

وجلس شهاب بمفرده في البيت الكبير، واعتاد الدخول يوميًا إلى غرفة المكتب الخاصة بعمه والنظر لصورة ليليث الفاتنة وهي تبتسم له بدلال. وفي إحدى الليالي، ظلّ شهاب يقرأ في كتب عمه لوقت متأخر من الليل، وهنا سمع شهاب صوت كركبة تأتي من خلفه وشعر بالهواء البارد وصوت الرياح والصفير هووووووف. فنظر خلفه فلم يجد شيء فاستمر بالقراءة فزاد الهواء برودة، وشعر بالبرد الشديد والخوف من صوت الصفير في أذنه فقال لنفسه: "هو فيه إيه؟؟ هو انا نسيت الشباك مفتوح ولا إيه؟" فذهب يتأكد، فوجد النافذة مغلقة، فقال

بحيرة: فيه إيه بس. أستغفر الله العظيم. أنا هروح أنام. أحسن شكل الكتب دي أثرت عليا. وألقى نظرة أخيرة على صورة الفاتنة ليليث وقال: تصبحي على خير يا قمر. فسمع صوتًا أنثويًا رقيقًا يرد عليه قائلًا: "وأنت من أهله" ثم صوت ضحكة ساخرة، فقام شهاب مفزوعًا مرددًا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو في إيه؟؟ وترك الغرفة مرعوبًا يردد ما تيسَّر له من آيات القرآن الكريم ويبسمل ويحوقل. ودخل غرفته لينام.. وقام مفزوعًا ليلًا يريد دخول الحمَّام فسمع أصوات تتحدث وصوت امرأة تضحك بسخرية. فذهب سريعًا وقام بفتح الباب. فلم يجد شيئًا. واستمر شهاب بسماع ضحكات وأصوات كل يوم بمنزلة إلى أن جاء اليوم الموعود.

***

وفي عيادة الدكتور شهاب..

دخلت امرأة للكشف، وكان يتحدث في الهاتف فنظر لها برعبٍ وسقط التليفون من يده؛ فقد كانت شديدة الفتنة والجمال وتبتسم بدلالٍ. إنها ليليث.. وتغيَّر الطبيب كثيرًا بعد أول لقاء له مع الفاتنة ليليث، أصبح شخصًا آخر لا يعرف إلا هي، نسى زوجته وابنته. نسى كل شيء إلا عيادته. أصبح ملتزمًا بمواعيده ومهتمًا جدًا بمريضاته. لكن الغريب أن كل النساء اللاتي تابعن عنده حملهن، حدث لهن جميعًا إجهاض من غير أي سبب واضح. ولم يلاحظ أحدٌ هذا الموضوع إلا الممرضة التي تعمل بالعيادة: "سميرة".

وفي أحد الأيام، رنَّ جرس هاتف العيادة فقامت الممرضة بالرد وكانت إحدى صديقاتها، ودار هذا الحوار بينهما:

سميرة: ألو عيادة الدكتور شهاب. وكانت صديقتها على الطرف الآخر. أهلًا أهلًا يا تغريد. انتي فينك من فترة يا بنتي دا مكنش عيش وملح اللي أكلينوا سوا.

تغريد: معلش يا سمسمه والله تعبانه ومؤيد معذبني أووي وأديني حامل تاني والحمل الجديد تعبني أووي. إحجزيلي يا سمسمه النهارده عند الدكتور ميعاد بدري شوية.

سميرة: بلاش يا تغريد ما تروحي لدكتور تاني أحسن.

تغريد باستغراب من كلام صديقتها: بتقولي كدة ليه يا سميرة؟دا الدكتور شهاب ممتاز ومؤيد مولود على أيده.

سميرة: دا كان زمان قبل ما يعرف الشيطانه اللي خلّته يسيب مرآته وكل كشف تدخل معه وكل الستات سق...

ولم تكمل جملتها فلقد شعرت بحركة في المقعد خلفها وشاهدت ليليث تجلس وتضحك ضحكه بشعة ثم تغير شكلها إلى كائن بشع لونه أسود وذي قرون طويلة سوداء اللون، وذيل طويل مشقوق وأقدام كثيرة تشبه أرجل الإخطبوط سوداء وثلاث عيون حمراء دموية، ولم تستطع سميرة الصراخ أو بمعنى أصح، لم تجد الوقت الكافي لذلك. فلقد ظهرت من خلفها مباشرة، إنها الأيادي السوداء المشعرة ذات الأظافر المثنية الطويلة وجذبتها الأيادي السوداء بقوة إلى الجدار خلفها واختفت سميرة من الغرفة هي وليليث ولم يتبقَ إلا صوت تغريد وهي تصرخ في التليفون:

سميرة يا سميرة.. إيه اللي حصل عندك بتصرخي ليه ؟و لم تتلقَ تغريد ايَّ جواب سوى الصمت الرهيب.

الفصل الثالث عشر

جريمة قتل

في منزل أسرة منال، كانت أمها تتحسر على حال ابنتها الوحيدة: مالك يا بنتي وإيه اللي غيّر جوزك كدة ومبقاش يسأل على بنته، إنتي عملتيله حاجة؟ فترد منال منهارة: والله أبدًا يا ماما معرفش بعد الحادثة وهو اتغير ومبقاش شهاب اللي اعرفه.

-طيب اتصلي بيه وشوفي ماله يمكن أعصابه تعبانة وزعلان انك سيبتيه في الظروف دي....

فقالت منال بقهرة: يا ماما دا مبيعبرنيش، واتصلت امبارح رديت عليا واحدة وقحة وبتكلمني بمنتهى الاستفزاز وبتقولي هو مش هيقدر يرد عليكي وقفلت الخط. وانفجرت منال بالبكاء الهيستيري فتحاول الأم تهدئة ابنتها قائلة: خلاص روحي شوفي في إيه واسمعي منه دا جوزك ابو بنتك ولازم تحفظي عليها تفضلي ارجعي بيتك وشوفي جوزك ماله ولو فيه حاجة اتصلي بيا وانا هجيلك وهجيب عمامك ونشوف حل، وأكملت حديثها بحسرة: ماهو لو كان المرحوم ابوكي عايش كنت خليته يروح معاكي ويتكلم معه وانتي شايفة صحتي مش قادرة اتحرك من مكاني.

وتركت منال منزل أسرتها وعادت إلى منزلها وحدثت الكارثة..

***

في عيادة دكتور شهاب.

دخل شهاب في ميعاد العيادة، ووجد ليليث تجلس مكان الممرضة سميرة ولم يسأل الطبيب أين ذهبت ممرضته ولماذا تجلس ليليث مكانها على المكتب؟ وكأن ليليث تعمل في العيادة من سنين. ونظر لها شهاب قائلا: دخليلي أول كشف بعد عشر دقايق يا ليليث.. لو سمحتي عايز اتكلم معاكي ودخلت ليليث حجرة الكشف خلفه، فقال شهاب بهيام:

وحشتيني أوي يا ليليث، أنا مبقتش اقدر استغنى عنك، إحنا لازم نتجوز في أقرب وقت.

وهنا تبتسم هي بدلال قائلة: ومراتك وبنتك هتعمل معاهم ايه؟

شهاب: هطلقها ان ميحبش حد غيرك انتى ومش شايف حد غيرك في حياتي.

فردت ليليث بجدية: خلينا نتكلم بعد العيادة يا حبيبي.. وغمزت لليليث بعينها ثم أكملت قائلة: هدخّل أول كشف، وكالعادة كل الكشوفات حالات إجهاض وعمليات تنظيف.

وبعد الانتهاء من جميع العمليات جلس شهاب يتحدث مع فاتنته ليليث.

شهاب: ها قولتى ايه يا حبيبي؟

وتبتسم ليليث بمكرٍ: قلت ايه في إيه يا حبيبي؟

شهاب: إننا نتجوز الليلة، وتضحك ليليث بقوة وتقول: إنت بتتكلم بجد. إنت نسيت يا حبيبي اننا متجوزين من سنة، وأطلقت ضحكة عالية تردد صداها في الغرفة، وأخرجت قسيمة الزواج.

***

في منزل شهاب، عادت منال إلى المنزل وجهَّزت العشاء وجلست تنتظر زوجها: لتعرف ماذا حدث ولماذا تغير هكذا معها ولم يعد يسأل عنها ولا عن حبيبه ابنته الوحيدة؟ وجلست منال تنتظر وصوله حينما سمعت صوتًا غريبًا يأتي من غرفة المكتب فذهبت لتعرف مصدر الصوت.. فدخلت الغرفة ووجدت الكتب الغريبة في كل مكان، وجلست تقرأ في أحد الكتب الموضوعة على المكتب، فتحته وقلبت صفحاته فشاهدت علامات غريبة وطلاسم عجيبة: نجوم سداسية رسومات غريبة لأشياء وكائنات مرعبة فقالت لنفسها: إيه دا معقول يكون سحر؟! فسمعت صوت صفير الريح في أذنيها وشعرت بالبرودة الشديدة في أطرافها وبمن يتنفس خلفها فالتفتت بسرعة فلم تجد أحدًا خلفها، فشعرت بالخوف بالرعب بالتوتر بالبرودة تسري في أوصالها، وأسرعت إلى باب الغرفة للخروج من تلك الحجرة ولكن، الباب أُغلق في وجهها بقوة، وشعرت بالرعب، حاولت فتح الباب فلم تستطع أسرعت إلى النافذة، حاولت فتحها وحاولت فلم تستطع، فتحها فقد كانت مغلقة بإحكام شديد وكأن ما ينقصها سوى انقطاع التيار الكهربائي في تلك اللحظة، صرخت برعب صرخة عالية عندما شعرت بمن يجذبها من قدمها بقوة وسقطت على وجهها فاقدة الوعي..

***

عاد شهاب إلى منزله مع زوجته الفاتنة ليليث التي لا يعرف كيف ولا متى تزوجها؟ ولكن المهم هو أنه زوج تلك الفاتنة فيردد شهاب: مش عارف ازاي انا متجوزك من سنة وانا مش حاسس بالنعمة اللي انا فيها.

وتبتسم ليليث بمكرٍ قائلة: أديك عرفت وريني بقى هتعمل إيه ؟ فيرد شهاب بسرعة: هحققلك كل اللي بتتمنيه يا حبيبتي .

فقالت ليليث وعنها تلمع وتتحول كلها للون الأسود بدون بياض بصوتٍ عميقٍ: أكيد هتحققلي كل اللي بتمناه يا شهاب، إنت متقدرش تعمل غير كدة يا حبيبي. وأطلقت ضحكة عالية.

***

دخل شهاب هو وزوجته الجديدة إلى المنزل فسمع صراخ ابنته الصغيرة، فأسرع إلى غرفه ابنته فوجدها تبكي بشدة فحملها بيت زراعيه وحاول تهدئتها، وقال لنفسه: فين منال وإيه اللي جابها دلوقتي بس؟

وهنا دخلت ليليث ونظرات الشر بعينيها، ظلت تنظر إلى الطفلة بحقدٍ كبيرٍ وغِلٍّ أكبر، كانت تريد أن تنتقم منها وكأنها تعرف وتعي ما يحدث حولها، فصرخت الطفلة، صرخت برعبٍ شديدٍ من بين أحضان والدها، فقالت ليليث لشهاب بلهفة: هات الرضيعة أحملها شوية يا شهاب، أنا بعشق الأطفال الرضع، ونظر لها شهاب متعجبًا من حديثها الغريب، ومدَّ يديه يناولها الطفلة وهو يبتسم وكانت ليليث تنظر بلهفة حقيقية

وشوق كبير لحمل الطفلة الصغيرة، وصرخت ليليث، صرخت برعبٍ عندما نظرت للطفلة الصغيرة وحاولت حملها.

واستعجب شهاب ونادى عليها قائلًا: ليليث يا ليليث مالك فيه ايه؟وترك ابنته التي ضحكت بسعادة ليرى أين ذهبت زوجته ليليث التي اختفت من البيت، ودخل شهاب غرفة المكتب، فوجد منال على الأرض، حاول إفاقتها فلم تقم وحاول قياس النبض، ولكن لم يكن هناك أي نبض، فصرخ برعبٍ قائلًا: دي ماتت معقول منال وهنا سمع صوتًا من خلفه يصرخ في وجهه قائلًا: قتلتها يا دكتور شهاب.. فالتفت شهاب برعبٍ إلى مصدر الصوت، فوجد رجلًا غريبًا يقف في منتصف الغرفة، فصرخ شهاب برعب قائلًا: إنت اللي قتلتها يا مجرم أنا لازم ابلّغ الشرطة.

فضحك الرجل بقوة واهتز كرشه الكبير ثم قال: إنت اللي قتلتها عشان يخلالك الجو مع ليليث يا دكتور.

فردَّ شهاب برعبٍ: أنا دخلت الأوضة لقتها ميتة.. وصرخ بقوة: إنت مين؟ أكيد انت القاتل؟ وأسرع محاولًا أن يمسك بالغريب ولكنه لم يستطع.. لم يتحرك من مكانه.. فلقد شعر بمن يثبت قدميه بالأرض وضحك الرجل، ضحك ببشاعة واهتز معه كرشه الضخم، وجحظت عيناه السوداء وقال: أنا شوكت السلحدار، إسمعني وخليك مطيع زي عمك الله يرحمه.. مين اللي هيصدقك يا غلبان إنك مقتلتهاش وهيقولوا انك قتلتها علشان تتجوز ليليث الفاتنة.

فصرخ شهاب برعبٍ وهو ينظر لتلك الأيادي السوداء التي تثبت قدمه بالأرض وقال برعبٍ: أرجوك ارحمني، أنا عندى بنت أنا مقتلتهاش والله مقتلتها هي اللي ماتت لوحدها صدقني دي كانت ميتة.

فردَّ شوكت: ومين هيصدق الكلام اللي بتقوله دا انا هوريك اللي قتلها ودليل براءتك وهساعدك كمان انك تخرج من الموقف دا ؟

فقال شهاب بلهفة وهو يريد الخلاص من كل هذا الكابوس: ياريت وهعمل كل اللي تطلبه مني يا أستاذ شوكت بس أرجوك خلهم يسيبوني؟ فرفع شوكت يده لتلك الأيادي السوداء التي تمسك بقدميْ شهاب ثم قال: خلاص احنا الأول هنودي الجثة عند ماماتها هي والبنت وكأنها ماتت هناك.

فردَّ شهاب بألم: أكيد حد هيشوفنا وامها ساكنة معاها في نفس البيت فيقاطعه شوكت بصوتٍ غريبٍ: ملكش دعوة دي شغلتنا احنا، بس الأول روح شيل السلسلة اللي بنتك لابساها بسرعة، وتساءل في دهشة:سلسلة إيه؟ وأسرع إلى غرفة ابنته ونظر لرقبتها فوجدها ترتدي سلسلة بها بعض الآيات القرآنية وهي (آية الكرسي)كانت أمها تضعها للطفلة حتى تحميها من أي شرٍّ فانتزع السلسلة من رقبة الصغيرة ووضعها في جيب قميصه وترك الصغيرة بالغرفة وحيدة وذهب إلى حجرة المكتب، فلم يجد كلًا من جثة زوجته أو شوكت وأسرع إلى غرفة ابنته ثانية فلم يجدها فصرخ شهاب برعب: حبيبة...

الفصل الرابع عشر
شيطانة الموت

جلس شهاب بمنزله ينتظر أوامر شوكت بعد أن نفَّذ كل ما طلبه، ورن جرس الهاتف وأسرع شهاب يلتقطه وكانت حماته على الطرف الآخر تبكي بقوة وتصرخ: إلحقني يا شهاب منال ماتت. وصرخت الأم: آه يا منال يا بنتي..

***

وأسرع شهاب إلى منزل أهل زوجته، ووجد أم منال منهارة تبكي بحرقة على زوجتة وهي تحمل ابنته بين يديها.

شهاب بتوتر: إيه اللي حصل يا ماما فين منال وإيه الكلام اللي قولتيه في التليفون دا؟

وهنا ردت الأم بحسرة وهي منهارة: منال ماتت ماتت يا شهاب وانت السبب.

فقال شهاب برعبٍ: أنا السبب ازاي، أنا مشفتهاش من فترة طويلة من يوم ماسابت البيت وجت تزورك .

الأم وهي تبكي: دا اللي قهرها وموّتها بحسرتها منك لله. وهنا تدخل عم منال: الكلام دا ملوش فايدة دلوقتي يا سميحة ومش هيرجّع منال الله يرحمها.

وبعد دفن الزوجة والعزاء، وفي الليل عاد شهاب إلى منزله، وترك ابنته حبيبة في رعاية جدتها، وقبل أن يرحل قام بوضع سلسلة ابنته على رقبتها مرة أخرى وودع ابنته وعاد إلى منزله.

دخل البيت وهو يشعر بالمرارة في حلقه والحزن لفراق زوجته وأم ابنته، ويشعر بأنه هو السبب في موتها، ودخل المنزل يبكي بقهرة، فشاهد المدعو شوكت يجلس على الأريكه ينتظره بهدوء، فقال شهاب بعصبية:

إنت دخلت هنا ازاي وانت مين، أكيد انت اللي قتلت منال، أنا معرفتش اتكلم معاك من خوفي على بنتي لكن دلوقتي أنا مش خايف، مش خايف منك، أنا هبلغ الشرطة عنك يا مجرم.. وضحك شوكت ورد عليه قائلًا: اهدى يا دكتور لو سمحت بلاش شوشرة عايز تبلغ الشرطة اتفضل بس الأول عايزك تتفرج على الشريط دا، تعالى لما تشوف مين اللي قتل زوجتك.

وفتح شوكت جهاز التلفاز وأدخل شريط فيديو أحمر اللون وابتسم بمكرٍ قائلًا: إتفرج وشوف مين اللي قتل منال مراتك يا دكتور.. وشاهد شهاب منال وهي على الأرض تقاوم وتضرب بقدمها وهناك شخص يقف فوقها يخنقها بقوة إلى أن اسلمت روحها وماتت، وصرخ شهاب عندما عرف من هذا الشخص؛ إنه هو شهاب بنفسه.

وصرخ برعب: لا مش أنا اللي قتلتها, أنا لقتها مقتولة.

ضحك شوكت باستمتاع وتلذذ: إسمع بقى الكلام عشان بنتك وكمان تنقذ نفسك كل اللي بتعمله دا مفيش منه فايدة. وسقط شهاب على أقرب مقعد وقال بانهيار: إنت مين وعايز مني إيه بالظبط ؟

رد شوكت قائلًا: بعد أن تغيَّر لون عينيه للون البنفسجي: أنا الوسيط.
فنظر له شهاب برعب وصرخ وهو يقول: وسيط ايه بالظبط ولمين..؟

ويصرخ شوكت: بلاش تسأل أسئلة انت مش قدّها. إنت هتنفذ الأوامر المطلوبة منك وبس فاهم؟

شعر شهاب بالرعب والخوف على ابنته الصغيرة ليس بيده حيلة غير تنفيذ الأوامر وما يطلبه منه هذا الغريب وقال بقهرة: حاضر المطلوب منّي إيه؟ فنظر له شوكت ليتبين إن كان صادقًا أم يكذب وقال: أولًا المطلوب انك تنسى انك قابلت ليليث.

شهاب برعبٍ: إزاي دي مراتي...

ردد شوكت الكلمة بذهول: مراتك؟! وهنا دخلت الفاتنة ليليث: أيوة يا شوكت مراته وتغيَّر لون عينيها إلى اللون الأسود بدون بياض ورجع شوكت خطوتين للخلف وقال بتوتر: إللي تشوفيه يا ليليث. اللي تشوفيه...

وهنا شاهدها شهاب لأول مرة على حقيقتها وشعر بالرعب الشديد وقال لنفسه: هو إيه اللي عملته في نفسي دا.

والتفتت إلى زوجها قائلة: شهاب حبيبي أكيد كل اللي هنطلبه منك هتحققهولنا وضحكت ببشاعة ضحكت أبشع ضحكة ، وطلبت ليليث طلباتها و الوسيط وصُدِم شهاب وشعر بالمرارة في فمه وبمغص شديد

في معدته من طلباتهما معًا.. وهذه كانت بدايه تعامُل شهاب مع الوسيط او شوكت السلحدار.

ومع مرور الأيام اكتشف شهاب حقيقة زوجته الجديدة ليليث الفاتنة، وبانها شيطانة منبوذة من عالمها؛ فلقد رفضتها الشياطين ولم تستطع العودة للعيش معهم فعاشت في عالمنا عالم الأرض، وكان يخشاها ويحاول تجنُّب النظر لعينيها وينفِّذ كل أوامرها؛ خوفًا على ابنته الصغيرة وأخيرًا اكتشف حقيقة زوجته المرعبة وشاهد شكلها المرعب القبيح وهو عبارة عن كائن بشع قبيح الخلقة، وقرر أن يهرب، ولكنه لم يستطع؛ فلم تتركه الفاتنة بسهولة يغادر، وشعرت ليليث بالوحدة في عالم الأرض تريد وريثًا، تريد طفلًا من نسلها.

فطلبت من وسيطها في عالم الأرض؛ شوكت السلحدار إحضار جنينٍ حيّ عمره خمسة أشهر ويقوم شهاب بزراعته في رحمها، وطلب شوكت من شهاب الذي اعترض وثار في بداية الأمر ثم خاف ورضخ للأوامر؛ خوفًا على ابنته حبيبة، وقام بتنفيد الأوامر وأكثر من اللازم.. و كانت أيشتور هي الجنين المختار، ولكن لا ندري ماذا حدث وقتها، وهل الجنين كان حيًّا أم ميتًا عندما تمت زراعته في رحم شيطانة الموت..؟

***

و كان مصير الممرضة المسكينة سميرة التي تدخلت فيما لا يعنيها، خبرًا صغيرًا بأخبار الحوادث.

حيث وُجِدَت جثتها مشوهة ممسوحة المعالم، مقتولة بجوار أحد المقابر واختفاء بعض أعضاء الضحية، وجاري التحقيق والفاعل مجهول الهوية.

واختفت ليليث من على وجه الارض تماما بعد العمليه ولا نعرف اين ذهبت بفتنتها الطاغيه

فيبدو أنها عاشت بمكانٍ آخر تحت الأرض؛ فلم تكن حياة البشر وروتينهم الممل وازدحام المواصلات والهواء الملوث والأكل المسمَّم.. يستهويها كثيرًا فاختارت أحد القبور لتعيش بداخله وكان شاهد بنفسجي اللون.

***

أخبار الحوادث

عثر أهالي منطقة... على جثة مشوهة وعليها آثار تعذيب شديد، وكانت الجثة لطبيب شاب في مقتبل العمر، وهو الطبيب شهاب محمد أحمد، ولقد تم التعرف على الجثة من أوراق إثبات الشخصية التي وُجِدَت داخل ملابس الضحية.

الفصل الرابع عشر

نعود لأينور وفهمي من جديد

ونعود لفهمي وابنته أينور عندما دخلا إلى الممر المظلم بحجرة الأخيرة وسارت الطفلة إلى داخل الممر الطويل ودخل خلفها فهمي وهو يتساءل بقلق: أينور يا أينور إنت وخداني على فين يا بنتي؟ وأسرعت الطفلة تركض مسرعة إلى داخل الممر المظلم واختفت من أمامه. وأغلق الجدار مرة ثانية وأسرع الأب خلفها وهو يشعر بالرعب الشديد ونادى عليها بصوتٍ عالٍ قائلًا: أينور ردي عليا يا بنتي. أرجوكي وظلّ ينادي، ولكن ما من مجيبٍ. وأغلق باب الممر من خلفه مرة ثانية مُصدرًا صريرًا مزعجًا يصم الآذان وشعر فهمي بالخوف والوحدة والعجز والضياع بعد أن فقد أثر ابنته أينور. وظلّ ينادي عليها لعلها تعود وتأخذه معها وتخبره الحقيقة. ولكن لم يسمع إلا صدى صوته "أينوررر".. وهنا تذكر فهمي فنادى بتردد: أيشتور..

وسمع صوتها من خلفه يقول: أخيرًا افتكرتني يا بابا طول ما انت ناسيني أنا هنساك ومش هوصّلك لأينور أبدًا. خليك فاكر ويمكن اسيبك هنا تواجه مصيرك لوحدك. وضحكت الطفلة باستمتاعٍ غريبٍ.

فردَّ فهمي بتوتر: أيشتور ريّحي قلبي يا بنتي وعرّفيني الحقيقة. إنتي مين وأينور فيين؟

فصرخت أينور بغضب: لسه عايز تعرف فين أينور؟؟ لسه بتحبها وبتكرهني؟؟ وصرخت أيشتور بقوة.

فردَّ فهمي برعبٍ: لا يا أيشتور. انا بحبك انتي وهي. إنتوا الاتنين بناتي.

ايشتور: ويا ترى لو خيروك بينا هتختارني انا ولا هي.

واحتار الأب في إجابة السؤال؛ فبماذا يجيب وما أصعب الاختيار. وسأل نفسه قائلًا: فعلًا لو خيروني هختار مين في بناتي أينور ولا أيشتور...؟هختار مين فهم يا فهمي هتختار مين أينور بنتي اللي ربتها وشفتها بتكبر قصاد عيني يوم بعد يوم وأعز ولادي لقلبى اللي لما اكون تعبات تسهر جانبي والدموع مالية عينها بتعيط وبتدعي ان ربنا يشفيني واخف بسرعة.. أينور اللي محبتها في قلبي بتزيد يوم ورا يوم. إللي دخلت وراها وانا نفسي ارجّعها تاني لحضني..

ولا هختار أيشتور اللي اتحرمت من حنان الأم والأب. إللي معرفش اتربت ازاي وعاشت ازاي وفين.. ومين اللي اهتم بها السنين دي كلها..

أيشتور الحاقدة على الأسرة والمجتمع. أيشتور اللي بتنتقم من كل اللي يقف في طريقها..

ياترى يا فهمي هتختار مين؟ وتصرخ الطفلة بصوتٍ مرعبٍ: ماترد وتقول هتختار مين فينا يا بابا؟!

فهمى بحيرة شديدة: مش عارف مش عارف والله ماعارف يا بنتي.. وتقول أيشتور بتحدٍّ: هسيبك تعرف وتختار بس عايزاك تعرف حاجة في نهاية الرحلة. واحدة بس اللي هترجع معاك يا اما أينور أو أيشتور.

وضغطت على حروف كلماتها.

فردَّ فهمي بقلقٍ: وليه ماترجعوش انتم الاتنين يا أيشتور. ليه يا حبيبتي؟

وتبتسم ايشتور بحزن: مينفعش يا بابا، القرار مش قرارك انت دا قرارهم هما وبس.

فقال فهمي: قرار مين يا أيشتور فهميني الحقيقة يا بنتي؟

ايشتور: هتعرف كل حاجة في وقتها، متستعجلش، هسيبك دلوقتي تدوّر على بناتك، وشوف هترجع بمين فيهم.. أينور ولا أيشتور..؟

واختفت الطفلة من أمامه مسرعة لا يدري أين ذهبت، فصرخ الأب مناديًا عليها: حرام عليكي يا أيشتور متسبنيش هنا لوحدي عرفيني يا بنتي اختك فين؟ أينور بنتي وصرخ بقوة ينادي على ابنته التي اختفت وتركته في الممر وحيدًا لا يعرف إلى أين يذهب أو ماذا يفعل..

وسقط على الأرض فاقدًا الوعي من شدة الانفعال..

***

في الشقة المشؤومة..

كانت هناء تصرخ وتبكي ولا تدري ماذا تفعل؟ ولا كيف تتصرف وتحدّث نفسها قائلة: معقول اكون كنت بحلم، الأوضة كانت هنا، وأسرعت إلى مكان غرفة ابنتها وهي تصرخ وتقول: لا أينور بنتي، فهمي انتوا فين ؟رحتوا فين؟ وأسرع الطفلان إلى الأم وهما يتساءلان عن مصير والدهما، وصرخت هناء قائلة: مش عارفة.

فقالت إيناس من بين دموعها: ياماما بابا راح يرجّع أينور. وانفجرت الطفلة بالبكاء الهيستيري الشديد.

هناء بتوتر: يرجعها منين يا إيناس. إنتي تعرفي إيه ومخبية عنّي. إنطقي. إتكلمي يا إيناس متخافيش من حاجة.

فردت إيناس منهارة: يرجّعها من عند الشيطان ياماما.

هناء برعب: إيه اللي بتقوليه دا يا إيناس... انطقي.

رد إيهاب قائلًا: هي دي الحقيقة يا ماما... وانفجر إيهاب بالبكاء والنحيب على والده. وتكلّم الأم نفسها وتقول: أكيد كلام الولاد صح والأوضة اختفت ازاي. معقول كنا بنحلم كلنا. أنا لازم اشوف حد بيعرف في الحاجات دي. لازم الاقي حد يساعدني اني ارجّع فهمي وأينور بنتي لحضني من تاني.. وأطلقت صرخة عالية.

***

وتصرخ أينور برعبٍ قائلة: قوم يا بابا بسرعة. فوق مفيش وقت. أرجوك إصحى. إيه اللي جابك المكان دا.. وتحاول هز فهمي بقوة ليستفيق. وهنا يفتح الأب عينيه ببطءٍ وهو يتمنى ان يكون كل هذا مجرد كابوس مزعج وسيستفيق منه سريعًا وسيفتح عينيه ليجد نفسه وسط أسرته في شقته الصغيرة. وسط أولاده وزوجته. ففتح عينيه ببطءٍ فشاهد كائن غريب الهيئة ذا قرون سوداء وعيون حمرا وفم رفيع يشبه الممصّ وأيادٍ كثيرة تشبه الأخطبوط. ولونه أسود كلون الفحم.

ونظر الكائن بعيونه الدموية لعينيْ فهمي، فقام الأخير مفزوعًا يردد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ويحوقل ويبسمل.. وركض مسرعًا لنهاية الممر فوجد أمامه ثلاثة أبواب مغلقة واحتار فهمي: أيًا من الأبواب الثلاثة سيختار وأي باب سيوصله لابنته أينور، إنه أحد الأبواب الثلاثة. وصرخ فهمي ينادي على أيشتور، وشعر باقتراب الكيان منه فشعر بالعجز والحيرة فصرخ بقوة قائلًا: أختار أي الأبواب.. مين فيكم اللي هيوصلني لبناتي مين؟و هنا اقترب الكيان أ كتر فاكتر، وشعر فهمي بالاختناق فهو لا يعرف أيَّ الأبواب سيختار.

***

في شقة فتحي المصري

سمع الجار صريخ ونحيب هناء، فقال محدثًا نفسه أمام أحد الجدران: أكيد حصل، لازم اتحرك بسرعة قبل الكارثة ماتحصل وتعرف الحقيقة. ثم غادر الغرفة تاركًا الجدار خلفه فكانت هناك دائرتان حمراوان ربما كانتا عينين حمراوين وربما كان الأخير من هواة الحديث مع الجدران ربما فهي من الهوايات الممتعة حقًّا.

وفي الشقة المشئومة، كانت هناء مازالت تصرخ بهسترية شديدة، وفجأة تذكرت شيئا هامًا فقالت: أكيد هو دا الحل الوحيد، وأسرعت إلى ولديها وأخذتهما وغادرت المنزل مسرعة، وهنا تساءلت إيناس وهي تبكي:

إحنا هنروح فين يا ماما ؟

فردَّت هناء: هتروحي انتي واخوكي عند خالتك كام يوم لغاية ما ارجعلكم تاني يا حبيبتي. وهنا تساءل إيهاب: هتروحي فين يا ماما وتسيبينا؟ مش كفاية بابا وأينور راحوا.

فقالت هناء: متخفوش أنا هرجعلكم تاني بسرعة، أنا عرفت مين اللي هيقدر يساعدنا نرجّع بابا وأينور.ولازم اكون مطمنة عليكم قبل ما اعمل أي حاجة.

علشان كدة عيزاكم تقعدوا عند خالتكم كام يوم لغاية ما ارجع وارجّع ابوكم واختكم. فردَّت إيناس بفزعٍ: ياماما هتروحي للشيطان ترجّعي بابا وأينور مش هيسيبك يا ماما بلاش تروحي انا حاسة اني مش هشوفك تاني أبدًا يا ماما.

فردَّت هناء: قولتلكم متخفوش، أنا مش هروح أي مكان بس اعرف اللي ممكن يساعدني بقدراته ومعارفه الكتير وسلطته الكبيرة.

وتركت هناء ولديها عند أختها ورحلت ذاهبة إلى من تعتقد بأنه يستطيع مساعدتها في إرجاع زوجها وابنتها.

***

وقف فهمي محتارًا؛ لا يدري يختار أي من الأبواب الثلاثة والفزع يملأ قلبه من ذلك الكيان العملاق الذي اقترب منه.. وأخيرًا اختار أحد الأبواب وفتح فهمي الباب ودخل إلى ما وراء الباب.

فصرخ فهمي رعبًا عندما شاهد غرفة عمليات، وشاهد زوجته هناء نائمة على فراش بداخل الغرفة والطبيب شهاب يقوم بإجراء عملية. فشقَّ بطنها بالمشرط ثم أخرج جنينين من رحم هناء، وقام بوضعهما في محلول مائي وصرخ فهمي قائلًا: إتنين اتنين.. كرر فهمي الكلمة كثيرًا "إتنين أينور وأيشتور" وهنا صرخ رعبًا عندما شاهد بنتيه داخل المحلول المائي وحاول الركض مسرعًا لإنقاذ بنتيه، وحاول أن يمد يده ليمسك البنتين، ولكنه لم يستطع عمل شيء: لقد تغيَّر المشهد من أمام عينيه واختفت غرفة العمليات وتغيَّر المشهد.. وظهرت هناء في غرفة النوم بشقتهم القديمة وهي تحمل أينور وهي طفلة صغيرة عندها خمسة شهور وتبتسم له قائلة: شوف يا فهمي البنت جميلة ازاي وضحك فهمي بسعادة قائلًا: جميلة زي امها أكيد..

وفي تلك اللحظة حاول فهمي أن يتذكر أين وُلِدت ابنته أينور ومتى؟ لم يستطع التذكُّر أبدًا أين وُلِدَت ابنته مع من تابعت الحمل زوجته؟ فصرخ فهمي بتوتر: معقول مش فاكر حاجة خالص، أنا كل اللي فاكره هو يوم العملية اللي أجهضت فيها هناء ايشتور، ومش فاكر أي حاجة بعدها غير يوم استيقظ من النوم فوجد هناء تحمل طفلته الصغيرة أينور وتقول له شوف يا فهمي جميلة ازاي شوف يا فهمي أينور جميلة ازاي.

الفصل الخامس عشر

الحظرد والعشرين شيطانًا

العشرين شيطانًا.. لقد عرف الحظرد في كتابه العزيف بأن هناك عشرين شيطانًا اتخذوا هيئة البشر وتزوجوا وعاشوا وسط البشر وأنجبوا واندمجوا معنا، لانستطيع تميزهم أو معرفتهم إلا من خلال بعض العلامات المميزة لهم، ومن العلامات الهامة التي تميزهم: الشامة أو الوحمة السوداء الكبيرة. وهذه علامة هامة تميزهم فاحذروا من أصحاب الشامات اللحمية، فاحتمال أن يكون واحد من تلك الكيانات العشرين أو أحد نسله.. لا نعلم إن كانت تلك المعلومات حقيقة أم خيال...

***

وقف فهمي يحاول أن يتذكر أين وُلِدَت ابنته أينور ومتى؟ حاول كثيرًا لكنه لم يستطع وأغمض عينيه وحاول أن يتذكر، وحاول جاهدًا.. وهنا وجد نفسه أمام الثلاثة أبواب مرة أخرى، فاختار نفس الباب الذي قام بفتحه من قبل حتى يعرف ماذا حدث لبنتيه بغرفة العمليات بعد أن أخرجهما الطبيب من رحم زوجته وأغمض عينيه من جديد محاولًا التركيز والتذكر، ولكنه لم يتذكر شيئًا أبدًا عن ابنته وكأن هناك من محى تلك الفترة من حياته بممحاة وفتح عينيه وشاهد زوجته في غرفه العمليات وشاهد البنتين موضوعتين في وعاءٍ زجاجي، وكان بالغرفة فراش آخر ينام عليه مخلوق بشع أو بمعنى أصح كان أبشع كائن ممكن أن يراه في حياته، فنظر فهمي برعبٍ كبيرٍ لذلك المخلوق، وكان يشعر بالاشمئزاز والرعب معًا من تلك الخلقة البشعة...

وهنا رأى الطبيب، شهاب يقوم بوضع البنتين داخل ذلك الكائن البشع بعد قيامه بأبشع شيء ممكن أن يقوم به طبيب عنده ضمير في حياته، لقد قام شهاب بخنق البنتين وصرخ فهمي برعبٍ قائلًا: لا بناتي أينور أيشتور.

وحاول دخول الغرفة وحماية البنتين من ذلك الطبيب المجنون، ولكن اختفى المشهد من أمام عينيه، وظهرت أينور وهي طفلة صغيرة عمرها خمسة أشهر وتحملها هناء وهي تقول: شوف يا فهمي أينور جميلة ازاي.. و هنا حاول ثانية أن يتذكر أين كانت الصغيرة إلى أن أكملت الخمسة أشهر ؟وأين ومتى وُلِدَت بالظبط؟حاول كثيرًا وجاهد لكي يتذكر وعصر تلافيف مخه أكثر وأكثر لعله يتذكر.. أين كان هو وزوجته ولماذا لا يتذكر شيئًا؟

وفكر فهمي كثيرًا بعد كل ما شاهده، وقال لنفسه: معقول تكون أينور مش بنتي طيب دي مين..؟ وصرخ: أنا عايز اعرف الحقيقة كفاية كدة كفاية يا أيشتور... وسمع صوتًا يأتي من مكانٍ بعيدٍ يقول له: عشان تعرف لازم تقدم القربان الأول فيتساءل بدهشة قائلًا: قربان إيه..؟

فيرد عليه الصوت قائلًا: قربان الولاء والطاعة العمياء وتغيَّرت الصورة من أمامه وشاهد أينور ابنته نائمة على سرير أبيض والورد يحيط بها من كل مكان كانت كالملاك الصغير في نومتها فقال الصوت: اذهب واذبح الطفلة . وضحك الصوت بقوة ونظر فهمي فوجد سكّينًا في يده لا يعرف من أين أتت ولا متى، فصرخ فهمي: أينور بنتي.. وأسرع باتجاهها يحاول حمايتها من ذلك الصوت البغيض وسقطت السكّينة الحادة من يده

وتحولت صورة أينور الملائكية إلى كيان أسود عملاق، ووجه بشع مدمم تملأ البثور ذات خمس عيون حمراء، وقام الكائن يحاول مسك فهمي بأياديه الطويلة السوداء التي تتجاوز المترين، وصرخ فهمي وسقط على الأرض مغمى عليه من شدة الرعب والانفعال، لم يكن قلبه يتحمل كل هذا الضغط والمجهود الذهني..

***

ذهبت هناء إلى قسم الشرطة للرائد محمود المسئول عن القضية والتحقيقات والتحريات، وعرفت أنه أدخل مستشفى الأمراض العقلية بعد مقتل قائده وتشويه جثته.. واتهام الشياطين بقتله، فكررت زيارته في المستشفى ومحاولة معرفة الحقيقة منه، وطلبت من المسئول إذنًا بالزيارة.

وفي حجرة الرائد محمود كانت تجلس هناء أمامه..

فقالت هناء: إزيك يا سيادة الرائد أخبارك إيه وإيه اللي حصل بالظبط..؟فيرد عليها محمود بسخريه قائلًا: إنتي شايفة اني لسه ظابط هنا يا مدام؟ وتتساءل هناء بحيرة وهي ترفع يدها معبِّرة عن انفعالها وتأثُّرها: إيه اللي حصل؟وينظر لها محمود وهو يقول: مش عارف، كل اللي اعرفه ان اللواء ناجي...

وقطع محمود كلامه عندما شاهد كفَّ هناء، وسكت وهو ينظر برعبٍ لكف هناء وإلى تلك الوحمة اللحمية الكبيرة في كف يديها، وقال محمود

برعبٍ حقيقي: أكيد انتي اكتر واحدة عارفة إيه اللي حصل يا مدام..
وتنظر له هناء بدهشة وتتساءل: إنت بتقول إيه وهعرف منين بس؟

فشاور محمود على كفها: إيه العلامة اللي في كفك دي يا مدام هناء؟

هناء باستغراب: دي؟ ونظرت إلى كفِّ يديها وقالت: دي وحمة..
فتساءل محمود: والوحمة دي طلعتلك إمتى؟

نظرت له هناء باستغراب وقالت: وعرفت منين اني مش مولودة بيها؟

فقام محمود من على السرير واقترب منها وقال: إنتي السبب في كل دا
وصرخ: ولازم تموتي. وكرر كلامه بحدة ثم هجم عليها وحاول خنقها
بيديه. وصرخت هناء برعبٍ ودخل الممرضون وحاولوا إبعاده عنها بقوة
وهو يحاول خنقها ويردد قائلًا: إنتي السبب في كل حاجة.

واستطاع الممرضون تخليص رقبتها من بين يديه، ووقفت هناء مندهشة
مما حدث ولا تدري لماذا فعل ذلك بها وحاول قتلها؟

وتساءلت هناء برعب: لماذا حاول قتلها؟ فقالت تتمتم: يظهر انه اتجنن
فعلًا وانا اللي افتكرت انه ممكن يساعدني. وغادرت المستشفى وهي
تفكر في كل شيء وتفكر فيما حدث وفي تلك الوحمة متى ظهرت؟
وتحدِّث نفسها قائلة: لقد ظهرت الوحمة عندما وُلِدَت أينور. وكل سنة
تكبر الوحمة قليلًا يعني ظهرت بالظبط يوم... وهنا حاولت التذكر
واستعجبت لأمرها؛ فلم تكن تتذكر شيئًا أبدًا عن ولادة ابنتها الكبيرة
فصرخت: مش فاكرة.. هي أينور اتولدت إمتى.. فين..ازاي.. معقول

مكنش فاكرة. أنا مش فاكرة غير أينور وهي عمرها خمس شهور. وقالت لنفسها:إزاي؟ أكيد في حاجة غلط معقول اكون نسيت بنتي الكبيرة اتولدت فين وإمتى؟ فحاولت عصر مخها أكثر فاكثر. ولكنها لم تتذكر شيئًا بالمرة. وسارت هناء حائرة تائهة لا تدري ماذا ستفعل.. وهنا لفتت نظرها عيادة جارها الطبيب النفسي فأسرعت إليه. وكانت العيادة خالية من المرضى في هذا الوقت. وكان هذا من من سوء حظ الطبيب.. واقتحمت غرفة الكشف وهي منهارة.. تبكي. كان الطبيب جالسًا على مكتبه يقرأ. وصرخت هناء منهارة: دكتور مجدي أنا عندي زهايمر. أنا مش فاكرة ولدت بنتي الكبيرة إمتى. ومش فاكرة ازاى ربيتها وولدتها فين؟ مش فاهمة حاجه ومعرفش فين بنتي أينور وجوزي فهمي اختفوا ازاي.. ثم انهارت بالبكاء الهيستيري والنحيب.

ثم قالت من بين دموعها: أنا حاسة اني السبب في كل اللي بيحصل. أرجوك ساعدني. وانتظر الطبيب حتى هدئت قليلًا. وطلب لها كوب لمونادة مثلجة. وقال لها: إهدي يا مدام هناء وخدي القرص دا هتبقي أحسن.. ففعلت ما قاله ووضعت القرص تحت لسانها وهي تنظر له.

فقال الطبيب مجدي: أحسن دلوقتي. فهزت رأسها بالموافقة ثم قالت: الحمد لله احسن.

فقال مجدي بجدية: إنتي فاكرة إيناس وإيهاب اتولدوا إمتى وفين؟

فترد هناء بسرعة: أيوة إيناس ولدتها في مستشفى.. واتحجزت بيها إسبوع وإيهاب ولدته عند اختي في اسكندرية وكنت بتابع عند الدكتور.. وإيناس عند دكتور.. لكن مش فاكرة أينور اتولدت فين ولا ازاي، أنا آخر حاجة فاكراها عملية الإجهاض. وبعد حقنهاالبينج والدكتور شهاب بيقولي عدّي لغاية خمسه وانا عدّيت 1 2 3 وبعدين مش فاكرة حاجه خالص غير وانا شايلة أينور وكانت عندها خمس شهو.ر.

فينظر لها الطبيب بدهشة قائلًا: طيب مين اللي نزل أينور في الصحة وعملها شهادة ميلاد يا مدام هناء تقدري تفتكري...؟

وهنا تحاول التذكُّر ثم قالت هناء بحيرة: مش فاكرة ،أنا لقيت شهادة ميلادها في درج الدولاب وكانت ملفوفة في كيس اسود ومكتوب عليه إسم أينور بالأحمر من الخارج، واستغربت بس افتكرت فهمي اللي حطها ومسألتهوش مش عارفة، حاجة منعتني اسأله.

وينظر لها مجدي وهو يفكر: وانتي بتنسي كتير يا مدام هناء؟ أقصد الموضوع دا حصلّك قبل كدة ولا دي أول مرة؟

فترد هناء بسرعة: لا يا دكتور أبدًا، دي أول مرة تحصلّي ودي تقريبًا الحاجة الوحيدة اللي مش فاكرها خالص. وانهارت هناء: ولازم افتكر، لازم اعرف فهمي فين وأينور راحوا فين..؟ واختفوا ازاي..؟

وإحساسي انى لو افتكرت هقدر ارجعهم تاني.. عندي إحساس كبير بكدة صدقني يا دكتور مجدي.

مجدي: كلميني عن طفولتك شوية.. إيه اللي انتي فاكراه من طفولتك يا مدام هناء؟

وتحاول أن تتذكر أي شيء عن طفولتها وتحاول أن تعصر مخها وتحاول. ولكنها لم تستطع تذكُّر أي شيء عن طفولتها، وصرخت هناء بعنف: مش فاكرة.. مش فاكرة أي حاجة.

مجدي باستغراب: إهدي يا مدام هناء، أنا هكتبلك على أقراص هتساعدك على إنك تفتكري وهتنشّط المخ والذاكرة، وحاولي الاسترخاء وبلاش الانفعال الزيادة، واشوفك بعد يومين وإن شاء الله تكوني افتكرتي حاجة.

***

في مستشفى الأمراض النفسية والعقلية..

كان محمود يحاول أن يتخلص من الممرضين ومن قيوده وهو يصرخ:

سيبوني، إنتوا مش فاهمين حاجة.إنتوا مش عارفين حاجة، هناء لازم تموت.. تموت.. هي السبب في كل حاجة، هي السبب هي.. وظلّ محمود يقاوم قيوده بقوة، وقال الطبيب النبطشي: حقنة مهدىء بسرعة يا مسعد، هو ايه اللي حصلّه ماكان كويس. أول مرة تحصله النوبة دي وتشششششش.. فخارت قوة محمود وهدأ قليلًا وهو يردد: هي السبب، انتم متعرفوش حاجة.. وسقط وهو يردد تموتتتتتتتت لازززززم.

فقال الطبيب: إيه اللي حصل للمريض؟ أنامش قلت ممنوع الزيارة ودخّلي المريض عنبر انفرادي بسرعة وممنوع الزيارات.

***

ظلّ فهمي ينادي على ابنته أينور التي كانت تركض في أرضٍ واسعة.

ويحاول اللحاق بها وهو ينادي عليها قائلًا: يا أينور استنيني متسبنيش هنا لوحدي يا بنتي أرجوكي، أنا خايف.. خايف يا أينور وفجأة ظهر الشاهد الملوّن أو القبر البنفسجي أمامه بدون أي مقدمات وانفتح بابه وخرجت منه ابنته الأخرى أيشتور.. صورة طِبق الأصل من أينور، ووقف فهمي محتارًا: أيّ منهما سيختار وأي بنتٍ سيعود بها إلى عالمه مرة أخرى ..ووقفت أينور تنظر لأختها أيشتور.

واستفاق فهمي وشاهد كائنًا هلاميًا أسود اللون ليس له أي ملامح. يحاول أن يدخل يده في صدره، فصرخ بقوة من شدة الألم والرعب، وحاول جاهدًا الوقوف على قدميه وهو يصرخ من شدة الألم والكائن يعتصر صدره اعتصارًا بين يديه، ووقف فهمي وأسرع يجري في الممر المظلم وشاهدهم ثانية أمامه؛ إنهم الثلاثة أبواب مرة ثانية، وعرف أنه لابد من اختيار أحد الأبواب الثلاثة، ليعرف الحقيقة فاختار الباب الثاني وفتح الباب وشاهد جثثًا متحللة وجماجم كثيرة وعظامًا بشرية في كل مكان، حاول الخروج والهروب من هذا الجحيم، ولكنه لم يستطع الحركة خطوة واحدة.

وظهرت الأيادي السوداء من تحت الأرض، ومسكت قدميه بقوة، وصرخ فهمي برعبٍ مستغيثًا بابنته، وتغيَّر المشهد وشاهد زوجته هناء وهي طفلة صغيرة، وكانت تلعب بجوار والدها بدميتها الصغيرة، وكان الأخير يجلس على مائدة الطعام ويتناول طعامه بتلذذ شديد واستمتاع كبير.
ونظر فهمي إلى طبق الطعام أمام الأب، وصرخ برعبٍ عندما شاهد طفلًا صغيرًا على مائدة الطعام مذبوحًا ومقطعًا لأربعة أجزاء في صينية طعام كبيرة، وكان الأب يتناول طعامه؛ وهو عبارة عن الطفل الصغير، وكانت هناء تلعب وهي سعيدة بدميتها الصغيرة ورفعها والدها من على الأرض ووضعها على رجليه وهو يبتسم لها بفمه المليء بالدماء الحمراء الطازجة ويداعبه بيديه الغارقتين في الدماء، وابتسمت الصغيرة وقالت: جعانة يا بابا عايزة اخد حتة لحمة طازة.. وناولها والدها قطعة لحم من فخذ الطفل وابتسم لها: خدي كلي يا حبيبتي، إنتي بقالك ساعة ماكلتيش أي حاجة.

وتناولت قطعة اللحم في يديها وهمَّت بأكلها بشراهة شديدة ونهمٍ كبيرٍ وأكلت الطفلة.. وأكلت الكثير، وظلت تأكل بنهمٍ شديدٍ.. وهنا لم يستطع فهمي أن يتحمل ما يرى، وشعر بالغثيان والقيء وصرخ: لاااااااااا
واختفت الصورة والمشهد من أمامه ولم يجد إلا الثلاثة أبواب مرة أخرى.
وتعلم ووعى فهمي الدرس جيدًا؛ حتى يعرف الحقيقة لابد أن يسكت، يشاهد فقط ولا يتكلم أبدًا أو يصرخ؛ فلابد من الصمت حتى يعرف كل شيء ويفهم الحقيقة، وسكت فهمي وهو يشعر بمغصٍ شديدٍ في معدته

وعاد لاختيار باب جديد ومدخل جديد لمعرفة ما حدث بالماضي واكتشاف الحقيقة، واختار أحد الأبواب، ودخل وشاهد زوجته وهي طفله صغيرة وتقف فوق رأسها امرأة غريبة تحاول أن تضع الوسادة على وجهها وتخنقها وهي تصرخ بشدة وتقول: أنا بحميكي بلاش تطلعي زيه. أنا بحميكي لازم تموتي، لازم لازم. وحاولت المرأة أن تخنقها والصغيرة تحاول أن تتخلص منها لم تستطع، وظهرت الأيادى السوداء من خلف المرأة وجذبتها للجدار. وظهر الأب وهو يضحك بهستيرية: إنتي عايزة تموّتي بنتي عايزة تموتي آخر نسل ليا يا سوزان؟

فردت المرأة وهي تبكي: أرجوك إرحمها بلاش تشوف مصيرك خلي عندك ذرة رحمة وسيبها. خدني انا وارحمها يا مختار.

فتكلم الأب بصوتٍ مرعبٍ: هي مصيرها كدة وانتي عارفة اني مش عايز اضرك أو أئذيكي علشان بحبك، متخلنيش اكسر القاعدة يا.. حبيبتي انتي لسه مراتي وأم بنتي وأم نسلي وضحك الأب، وصرخت المرأة بانفعال وسقطت على الأرض منهارة وهي تبكي.

الفصل السادس عشر
شياطين الجنجادوش

هذة الفقرة من وحي خيال الكاتبة. فمنذ ملاين السنين عشق اثنان من الشياطين، الفاتنة لليليث.

الشيطان جنجادوش و الشيطان الأخر شيطبوس عشق كلاهما لليليث، ولكن ليليث لم تحب غير شيطان واحد وهو الشيطان شيطبوس فتزوجته وكانت تنجب منه كل يوم مئة طفلٍ، ورفضت جنجادوش الشيطان الآخر، فثار الأخير وأعلن الحرب على الشيطان الآخر شيطبوس وكان هذا سبب تفريق العشرين شيطان عن بعض وهي الخلافات بين شيطبوس وجنجادوش وعشقهما للفاتنة لليليث وتفضيلها لشيطابوس؛ فكانت هذة هي القشة التي قصمت ظهر البعير؛ فلقد كثرت الخلافات وانفصل العشرون شيطانًا بعد أن كانوا قوة واحدة لا تقهر، ولكنها الأنثى بفتنتها هي من فرّقتهم وذهب عشرة منهم مع شيطابوس، والعشرة الآخرون انضموا لجنجادوش وتفرقوا عن بعض، وكل شيطان منهم تزوج وأصبح له نسل وذُرية من صلبه، كل هذا وهم متخذين شكل وهيئة البشر، ولكن كل مجموعة من الشياطين عاشت حياتها بعيدة عن المجموعة الأخرى في أنحاء الأرض، وتفرقوا في الجنوب والشمال والشرق والغرب، ولم يكن هناك أي اختلاط بأي شيطان من الشيطابوس أو من الجنجادوش، ولم يعرف أيٌّ منهما شيئًا عن الآخر من ملاين السنين، وجاء شوكت السلحدار وأسس جمعية "عودة العشرين شيطانًا"، وكان كل أمله في الحياة أن يوحِّد العشرين شيطانًا مرة أخرى ويصبحوا قوة واحدة لا تقهر حتى يستطيع حكم العالم وأسس جمعيه عودة العشرين شيطانًا التي من خلالها حاول

شوكت أن يوحد العشرين شيطانًا مرة أخرى، فكان معتقدًا عندما تتحد قوة العشرين شيطانًا سيحكم العالم بقوتهم الموحَّدة التي لا تقهر أبدًا وبمساعدة كتاب العزيف تعلم شوكت كيفية الاتصال بالكائنات، ولكنه لم يتصل إلا بشياطين الشيطبوس الذين منهم ليليث، وكانت شياطين الشيطابوس قاسية لاترحم فكان يعتقد أن بإمكانه ترويضها فروّضته هي وجعلته خادمًا لها ينفّذ مطالبها ووسيطًا لها لعالم الأرض وكان هذا جزاء للعب بالنار.

وحاول شوكت أن يستحضر شياطين الجنجادوش، ولكنه لم يستطع، وكان يتمنى أن يقابل أي شيطان منهم ويدفع مقابل ذلك نصف عمرة إلى أن جاء اليوم الموعود وقابل شوكت.. ودفع الكثير.. ربما حياته لا تساوي شيء بالنسبة لهم ..

وقف فهمي أمام أحد الأبواب من جديد حائرًا لا يدري ماذا يفعل أو ماذا يحدث هل مايراه حقيقة أم مجرد كوابيس تداعبه؟ هل هو يحلم..؟

هل كل هذا مجرد كابوس بشع وسوف يستفيق منه؟ فقال لنفسه: نعم سوف أستفيق وردد فهمي الجملة، وظل يرددها بقوة ويغمض عينيه ويفتحهما وشاهد كيانًا أسود عملاقًا وعيونًا حمراء بلون الدم تقترب منه.. فأغمض عينيه بقوة وردد: "كل هذا مجرد كابوس هفوق هفوق"، ولكن الكيان يقترب أكثر فأكثر فصرخ وهو يسرع لايدري أين يذهب وأين المفر من هذا الجحيم..؟وشاهدها تقف بعيدًا فنادى عليها: أينور بنتي تعالي نخرج من هنا، أرجوكي ارحميني يا بنتي وكفاية كدة كفاية" وتغير

لون عينها للون البنفسجي وقالت بصوتٍ عميقٍ كأنة يأتي من بئر سحيق: لسه بردو بتحب أينور ونسيني...؟

فصرخ فهمي برعب: أيشتور. إرحميني فين اختك؟هاتها ويلا بينا نخرج من الجحيم دا يلا يا أيشتور.

واختفت الطفله من أمامه وظهرت الثلاثة أبواب مرة ثانية وعرف فهمي أنه لابد من تكملة الرحلة ودخول أحد الأبواب الثلاثة حتى يجد باب الخروج من ذلك الجحيم. الباب أو الأمل الذي سيساعده على أن يخرج من كل هذا الكابوس المرعب وينقذ بناته وقال لنفسه: أنا لازم اعرف إيه اللي حصل لهناء يوم العمليه وهل بناتي عايشين ولا ماتوا وكل دا مجرد كابوس.؟وفتح أحد الأبواب ودخل إلى ماوراء الباب المغلق.. وشاهد زوجته في غرفة العمليات نائمة على أحد فُرُش العمليات وفراش آخر تركد عليه مخلوق بشع بجوار زوجته وشق دكتور شهاب البطن بالمشرط وأخرج الجنينين وظلّ ينظر الطبيب لبطن هناء المفتوحة بشيء من الرعب والتعجُب.. وهنا انفتح باب الغرفة ودخل رجل غريب المنظر والهيئة؛ فمنظره مرعب وشاربه ضخم وعيناه بارزتان وأسمر اللون وهو شوكت السلحدار، وسمع فهمي الطبيب وهو يقول للرجل الغريب ويناديه: شوكت تعالى شوف حاجة غريبة أول مرة اشوف الحالة دي في حياتي، الرحم مشوّه جدًا وغريب. نظر شوكت إلى بطن هناء المفتوحة برعبٍ.. و تغيَّر صوت شوكت وصرخ قائلًا: ايه اللي إنت عملته دا انت مش عارف دي مين، إنت مجنون، إنت مجنون.. ..

شهاب برعب: فيه إيه يا شوكت، إنت مش قولتلي ازرعلكم جنين، أنا مزرعلك اتنين وسيبوني في حالي، وسيبوا بنتي حبيبة تعيش. لم ينظر له شوكت أو يهتم لأمره، بل أسرع ليتأكد من شكوكه والتقط كف هناء بين يديه وشاهد العلامة المميزة إنها الشامة السوداء المشعرة التي يتميزون بها.. وأدرك شوكت الحقيقة، وصرخ، صرخ برعبٍ من الحقيقة بأن هناء من نسل الجنجادوش وصرخ شوكت برعبٍ قائلًا: أنا بقالي سنين نفسي أقابل أي شيطان من شياطين الجنجادوش، ولما الاقيهم تعمل انت كدة يا غبي. فصرخ بغضبٍ في وجهه قائلًا: اتصرف ورجّعلي البنتين مكانهم تاني في رحم الجنجادوش وضحك شهاب بقوة: بنتين ايه اللي هرجعهم يا شوكت(هو كيس جوافة) مينفعش، أنا خلاص زرعت البنتين في رحم ليليث والغريب انهم لسه عايشين ومعرفش ازاى بالرغم من اني حاولت اموّتهم هما الاتنين خنقتهم.. خنقتهم هما الاتنين...

فبرد شوكت بحسرة قائلًا: لأنهم من نسل الجنجادوش يا غبي صعب انك تموتهم بالطريقة دي.. دول شياطين الجنجادوش.

و هنا ردد فهمي الكلمة قائلًا: شياطين الجنجادوش يعني ايه؟ أنا مش فاهم حاجة أبدًا، وهنا اختفت الصورة والمشهد من أمامه وتبدّل المشهد وشاهد زوجته وهي نائمة في مكان غريب وحول فراشها تلف الكيانات السوداء وتحوم بعيونها الحمرا الدموية كيانات كثيرة وكأنها الذباب ليس لها أي معالم كتل هلامية سوداء اللون وكان شوكت يجلس في مكانٍ غريبٍ يتحدث ومثلها مثل المحاكمة، ولكنها محاكمة في عالم

الشياطين، وشاهد أيضًا الدكتور شهاب محبوسًا في قفص وهو يصرخ: إرحموني، أنا مكنتش اعرف حاجة سيبوني اربّي بنتي، إرحموني.

وكان هناك شيطان أسود عملاقًا وعيونه حمراء دموية، له أذرع كثيرة وممصات رفعية تخرج من مكان الفم، يجلس على كرسيٍّ كبيرٍ، تخرج منه الثعابين السوداء ذات الرؤس الحمراء، كرسي ضخم وطويل مرفوع عن الأرض بأمتارٍ يشبه عرش الملوك ويبدو أنه كبير تلك الشياطين وزعيمهم وتحدث كبير الشياطين وسكت الجميع ينصتون باهتمامٍ فقال كبيرهم: الجنجادوش لو عرفوا اللي حصل لنسلهم، إحنا منعرفش إيه اللي ممكن يعملوه فينا. الحروب اللي بنا انتهت من سنين طويلة وبسببك انت هترجع الحروب تاني. وشاور بإحدى يديه الأخطبوطية إلى الدكتور شهاب الذي كان يصرخ بهستيرية وأكمل حديثه: وهتشوف أسود مصير في حياتك وشاور بإحدى يديه وقامت مجموعة من الكيانات السوداء بجر شهاب خارج قاعة المحكمة جرًا وهو يصرخ ويطلب السماح والعفو، ولكن الشياطين لا ترحم، فلقد انتزع أحدهم قلبه وأطعمه لأحد صغار الشيطبوس الوليدة ووتركوا باقي الجثه للصغار يلهون بها فهي التسلية الوحيدة في عالمهم وهي تمزيق وتقطيع أعضاء البشر واللهو بها فكيف سيلعبون ويلهون إن لم يجدوا بشريًا ينتزعون قلبه أو طحاله..؟

وكان شوكت مرعوبًا مما شاهده، وخرج صوته ضعيفًا مهزوزًا فقال: أنا مكنتش اعرف، أنا خادمكم المخلص ووسيطكم المطيع وبنفذ التعليمات والأوامر كلها ودي كانت أوامر لليث.

فصرخ كبير الشياطين في وجهه قائلًا: اخرج هتلنا دم طازج وطفل رضيع. فردَّ شوكت سريعًا: حاضر كل طلباتكم أوامر بس متموتنيش سيبوني اعيش وانا هنفذلكم كل طلباتكم وغادر المكان مسرعًا.

وهنا قال كبير الشيطبوس إلى أعوانه: هنعمل إيه دلوقتي وهنتصرف ازاي يا أعوان الشيطابوس.. وهنا استفاقت هناء وفتحت عينها، وصرخ فهمي هناء وفي تلك اللحظة اختفت الصورة والمشهد من أمام عينيه وعاد من جديد إلى نقطة الصفر والأبواب الثلاثة. فلابد أن يصمت من جديد.

***

عادت هناء إلى منزلها تحاول أن تتذكر طفولتها وهي صغيرة، تحاول أن تركز، وصرخت بقوة وهي تحدث نفسها قائلة: مفيش حاجة مش فاكرة حاجة خالص. وأحضرت ألبوم صورها وهي طفلة صغيرة لم تجد لها أيَّ صور قبل العاشرة، كل صورها وهي عندها عندها عشر سنين فقط.

فقالت: معقول؟ فين باقي صوري، ازاي ماخدتش بالي من الموضوع دا قبل كدة، وفين صور بابا مفيش ولا صورة معايا، أنا حتى مش فاكرة شكله كل اللي فكراه عم حسام جوز ماما وكل الصور وانا متصورة معاهم، ازاي معقول فين صورة بابا وهو مات إمتى؟ وحاولت التذكر وعصر مخها مرة ثانية.. ولكنها لم تتذكر أي شيء وقامت مسرعة واتصلت بأمها وقالت بتوتر: أيوة يا ماما ازيك يا حبيبتي؟

كنت عايزة اسالك يا ماما، إنتي عندك صور ليا وانا صغيرة. فترد الأم بتوتر: ليه يا هناء يا بنتي؟

هناء بجدية: محتجاهم ضروري، عندك ولا لا...؟

أم هناء بتوتر: لا يا هناء معنديش ابوكي مكنش بيحب الصور والتصوير خالص ورفض يصوّرك وانتي صغيرة.

هناء: هو بابا مات إمتى وازاي؟

أم هناء بقلق حقيقي: إنتي بتسألي الأسئلة الغريبة دي ليه يا هنا على الصبح.

هناء: عايزة اعرف يا ماما.

وانهارت هناء في البكاء: أنا مش فاكرة حاجة خالص يا ماما، أنا جالي زهايمر لازم افتكر كل حاجة، فهمي وأينور في خطر كبير ولازم انقذهم.

أم هناء: أنا تعبانه ودماغي مصدعة، سيبيني دلوقتي يا بنتي وبلاش تحاولي تفتكري حاجات ملهاش لزمة، ومش هتفيدك، يا بنتي متشغليش نفسك أحسن بالماضى وعلشان ترتاحي، أبوكي مات في حادثة سيارة يا بنتي. ووضعت الأم سماعة الهاتف وتركت ابنتها حائرة لا تعلم الحقيقة ولماذا تخفيها عنها الأم بتلك الطريقة..؟

في مستشفى الأمراض العقلية..

استفاق محمود ووجد نفسه في زنزانة وحيدًا مقيدًا في السرير بالسلاسل الحديدية وفكّر محمود وقرر الهروب بسرعة وردد لنفسه: لازم هناء تموت لازم كل دا ينتهي بسرعة لازم.

وحاول يركز كيف سيهرب من هذا المكان وأخيرًا وجد الطريقة اللي هيقدر يهرب بيها من المستشفى وهي...

في عيادة دكتور مجدي، كانت هناء تبكي ومنهارة: مش فاكرة مش فاكرة يا دكتور مجدي أنا حاسة اني هيحصلّي حاجة بجد لازم افتكر لازم... إزاي مش فاكرة طفولتي وبنتي الكبيرة وأول فرحتي اتولدت، إزاي وإمتى ازاي أرجوك فهمني، فيرد عليها الطبيب بقلق: مفتكرتيش أي حاجة يا مدام هناء من آخر جلسة.

هناء: أبدًا، مش قادرة افتكر وكأن في حاجة منعاني اني افتكر كأني اتولدت وانا عندي عشر سنين، تصدق دا حتى صوري مش موجودة ولا صورة ابويا.

ويفكر الطبيب ويحك رأسه قليلًا ويقول باهتمام: إيه رأيك في جلسه تنويم مغناطيسي؟

هناء بلهفة: ودى هتخليني افتكر..؟

مجدي: أكيد، لأنك هتكوني تحت تاثير التنويم فكل حاجة متخزنة في عقلك الباطن هنقدر نعرفها بكل سهولة.

هناء بشكٍّ: وانا هعرف منين الكلام اللي هقوله..؟

مجدي: هنسجّل الجلسة كلها على شريط فيديو، ولما تفوقي تقدري تعرفي كل كلمة نطقتيها.

هناء بلهفة حقيقية: موافقة، فردَّ الطبيب: تحبي نبتدي إمتى؟

هناء بلهفة: دلوقتي لو سمحت وبدأت الجلسة....

***

في مستشفى الأمراض النفسية والعقليه، تظاهر الرائد محمود بالموت، فكتم أنفاسه وعند دخول الممرض بالأدوية والطعام صُدِم من هيئة محمود التي تدل على موته المؤكد وأسرع ليخبر الطبيب النبطشي ولم يغلق باب الغرفة خلفه، استطاع محمود أن يحل وثاق يديه من الحبال، وهنا دخل الطبيب ليتأكد من موت المريض فقام بركله في وجهه بقوة فسقط فاقد الوعي، فاستبدل ملابسه بملابس الطبيب وخرج من الغرفة وهو يرتدي البالطو الأبيض ويداري وجهه بالأوراق التي يحملها بيديه واستطاع محمود أخيرًا أن يخرج إلى الشارع.

محمود وهو يحدِّث نفسه: الحمد لله خرجت من المستشفى لازم اتصرف بسرعة.

وذهب مسرعًا إلى منزل فهمي، البيت المشئوم وعند عتبه الباب المشئوم، شاهد فتحي المصري جارهم يخرج من الشقة المشئومة ويحمل كتابًا غريبَ الشكل وله ملمس.. إنه كتاب الموتى.. العزيف نظر محمود برعبٍ شديدٍ للكتاب في يد فتحي وتلاقت النظرات، وفهم فتحي أن

محمود يعرف أكثر من اللازم عن الكتاب وأدرك محمود أن فتحي واحد منهم ومرَّ كل شيء سريعًا ولم يدرِ محمود ماذا حدث غير أنه... فقد الوعي على عتبة البيت المشئوم.

***

كانت أم هناء تتصل بالتليفون ورفعت سماعة الهاتف وهي تصرخ:

إلحقيني يا ازهار يظهر ان هناء بدأت تفتكر.

فترد أزهار على الخط الثاني: ازاي يا كريمة وايه اللي فكّرها بالموضوع دا بعد كل السنين دي.

كريمة برعب: معرفش هي لسه مكلماني وبتسأل أسئله كتير.. وصرخت الأم: إتصرفي بسرعة يا أزهار بلاش تعرف الحقيقة، دي ممكن تتدمر وانفجرت في البكاء.

أزهار بصوت عالي: إنتي كل اللي همك هي واحنا منهمكيش في حاجة،

إنتي عارفة لو افتكرت عملنا إيه في ابوها ممكن تعمل فينا ايه..

كريمة منهارة: إتصرفي بسرعة يا أزهار، أنا مش هقدر استحمل اشوفها كدة أرجوكي يا أزهار اتصرفي.

أزهار: لازم نتخلص منها بسرعة لازم قبل ماتفتكر حاجة.

فتصرخ كريمة برعبٍ: لا لا أرجوكي، بلاش نتخلص منها، أنا ربيتها زي بنتي وحبيتها ومش هقدر أقرب منها أو اقرَبلها..

وقطعت كلامها أزهار بحدة: إنتي السبب يا كريمة، لو كنا يومها قتلناها مكنش كل دا حصل، إنتي السبب يا كريمة.

كريمه: حرام عليكي، كنتي عيزاني اقتل طفلة صغيرة عندها خمس سنين مقدرتش قلبي مطاوعنيش أبدًا صدقيني صعب أوي عليا.

أزهار بحدة: إتحملي بقى المسؤلية لوحدك، بسببك لو الحقيقة اتعرفت كلنا ممكن نموت ونضيع.

كريمه برعب: لا لا هناء بنتي ربيتها وكبّرتها وعلمتها التسامح والحب، أكيد هتسامحنا لما تعرف أكيد دي بنتي.. وتصرخ أزهار: إهربي يا كريمة بسرعة من عندك لغاية مانشوف هتفتكر ولا لا..؟بسرعة مفيش وقت مفيش وقت.. كلنا في خطر كلنا في خطر.

الفصل السابع عشر

استعادة الذاكرة

في عيادة الطبيب النفسي وقبل جلسة التنويم المغناطيسي لا يدري مجدي لماذا. ولكنه شعور غريب سيطر عليه بأن يقيّد يديْ هناء ورجليها أثناء الجلسة. ولا يدري لماذا ولكنه اتبع حدسه وربط رجليْ هناء ويديها قبل جلسه التنويم المغناطيسي وظبط كاميرا الفيديو ووجهها إلى هناء حتى يتم تصوير الجلسة وشربت هناء دواء يساعدها على الاسترخاء وسألها مجدي: انتي مستعدة للجلسة يا مدام هناء؟

فردّت هناء باسترخاء وهي تقاوم حالة الخمل التي أصابتها: أيوة يا دكتور مجدي.

مجدي: بصي كدة في الصورة دي. وكانت صورة عبارة عن دوائر كثيرة متداخلة. وطلب منها بصوت عميق: نامي نامي يا هناء.

فسألها مجدي بعد أن أغمضت جفنيها: إنتي نمتي يا هناء؟

ردت بجمود وعيناها مقفولتان: أيوة نمت.

مجدي: تقدري تقوليلي إسمك إيه بالكامل؟ لم ترد هناء بسرعة بل سكتت هنية ثم قالت: أي اسم فيهم اسمي الحقيقي ولّا المزيف ؟

فاندهش الطبيب قائلًا: انتي ليكي كام اسم يا هناء؟

هناء: إسمي الحقيقي ايثبور.

فاستعجب الطبيب من الاسم ورددة قائلًا: ايثبور وإيه إسم هناء دا مين سمّاكي الإسم الغريب دا.. تقدري تفتكري يا مدام هناء.

فترد هناء وهي مغمضة العينين: إسم هناء دا إسمي الجديد واختارته كريمة اللي ربتني، ولكن إسمي الحقيقي ايثبور، وسألها مجدي يستفهم: كريمة مين والدتك ؟

فردَت هناء وهي تصرخ: لا دي خالتي.

مجدي: وماماتك وباباكي فاكرة هما فين دلوقتي..

وسكتت هناء ثم صرخت بعنفٍ قائلة: بابا، أمي قتلته هي وكريمة قطّعوه لاربع أجزاء، وحرقوا كل جزء في مكان كان دايمًا بياكّلني لحمة كتير كتير وصرخت هناء: أنا جعانة جعانة.

فشعر مجدي بالتوتر والقلق: إهدي يا هناء وكان عندك كام سنة لما اتقتل والدك؟

فصرخت برعبٍ في وجهه قائلة: قولتلك ايثبور، إنت مبتسمعش ولا إيه؟و لم يعتَد الطبيب هذا التصرف من المريض تحت تأثير التنويم المغناطيسي أن يعترض أو يقام بهذه الصورة، فشعر برعبٍ حقيقي وقلق: قومي يا هناء فوقي خلاص كفاية كدا النهاردة هعدّ لغاية تلاتة، وبعدين افتحي عينك وفتحت هناء عينها قبل حتى أن يقول واحد. وقامت وهي تصرخ قائلة: قولتلك إسمي ايثبور يا دكتور مجدي. فقام مفزوعًا من على المقعد حتى كاد يسقط على وجهه وشعر بالرعب والتوتر الشديد من نظرة عيني هناء وتغير لون عينها للون الأحمر الدموي.

***

في منزل أم هناء، كانت كريمة تحاول جمع ملابسها للهروب والاختباء كما أخبرتها أختها أزهار تحدّث نفسها قائلة: معقول هناء تموّتني، أنا اللي ربيتها وعلمتها وماردتش أقتلها يومها صعبت عليا، أه يا سوزان يا أختي الله يرحمك إنتي اللي عملتي فينا كلنا كدة.

وتذكرت كريمة أختها سوزان أم هناء الأصلية. تذكرت دلعها وشقاوتها ورقتها وتذكرت والدهم عندما عادت سوزان يومًا من الخارج وقالت لأمها: يا ماما أرجوكي إقنعي بابا بمختار، أنا مش هتجوز غيره يا ماما. وصرخت الأم في وجهها وقالت بغضب: إخرسي يا سوزان بدل ما ابوكي يسمعك، إخرسي مختار مين اللي مش عرفينله أصل ولا فصل اللي عايزة تتجوزيه.

سوزان بتحدٍّ: قولتلكم أنا مليش دعوة بأصله وفصله، أنا بحبه ومش هتجوز غيره.

وسمع الأب الحديث وخرج منفعلًا من غرفته: إيه الكلام اللي بتقوليه دا يا سوزان، إنتي بتتحديني ولا إيه يا بنت..؟

سوزان بتحدٍّ: لا يا بابا، بس انا مش هقدر أعيش من غير مختار ومش هتجوز غيره أبدًا حتى لو قعدت طول عمري من غير جواز. وتذكّرت كلام أختها وردّدت بحسرة: يا ريتك يا سوزان قعدتي من غير جواز ياريتك يا اختي..

وظلت تبكي بانهيار وهي تتذكر رد الأب عليها: حتى لو موتّي اودامي مش متجوزيه إنتي فاهمة. لما ابقى اموت ابقي اعملي اللي تعمليه يا سوزان. وسبحان الله قال الأب جملته ودخل غرفته ينام ولم يستيقظ مرة أخرى وماااات الأب بدون أي أسباب. وبعدها بأسبوع تحدت سوزان الجميع وتزوجت من مختار. وبعد سبعة أشهر أنجبت سوزان ايثبور (هناء) وكان اسمًا غريبًا في تلك الفترة. وبعد أن تمت ايثبور خمسة أشهر لاحظت كريمة أن سوزان ليست سعيدة في حياتها؛ دائمًا مرعوبة وخائفة من مختار، وفي أحد الأيام.. سألتها أختها عن سبب رعبها الدائم من زوجها فقالت كريمة: سوزان. مالك مختار مزعّلك؟

فردت سوزان بتوتر ورعب: مختار لا لا بتقولى كدة ليه يا كريمة؟

كريمة: أومال مالك يا حبيبتي، إحكيلي يمكن اقدر اساعدك.

سوزان: محدش هيقدر يساعدني في الدنيا كلها. وذهبت وتركت أختها كريمة محتارة؛ لاتدري ماذا تفعل لأختها، وتذكرت ذلك اليوم المشئوم عندما تمت ايثبور خمس سنوات.. يوم عيد ميلاد ايثبور بعد انتهاء الحفلة وذهاب المدعوين جميعًا طلبت منها سوزان..فصرخت كريمة برعب: إنتي مجنونة؟ أكيد اتجننتي عايزة تموتى بنتك فردّت سوزان بقوة: أيوة لازم تموت مش عايزاها تطلع شبهه يا كريمة ساعديني، أنا حطيتلهم أقراص المنوم في العصير وناموا هما الاتنين وسهل نقتلهم وهما نايمين يا كريمة ساعديني.

وصرخت كريمة بانفعال وهي تظن أن أختها فقدت عقلها: سوزان اهدي كدة واستهدي بالله.

فترد سوزان وهي تصرخ برعب: مفيش وقت، أنا متجوزة الشيطان يا كريمة ولازم يموت، لازم اقتله يا كريمة ساعديني أرجوكي وتعالي معايا...

كريمة: أرجوكي اهدي يا سوزان اهدي.

سوزان بانهيار: تعالي شوفي مختار وهو نايم بيكون ازاي، تعالي، وفتحت سوزان الباب على مختار وهو نايم..

وصرخت كريمه عندما شاهدت مخلوقًا مشوهًا بشع الخلقة ينام على السرير في غرفة أختها:

مين دا مين..؟ مين دا يا سوزان..؟

ردت سوزان بحسرة: دا مختار اللي اتحديت العالم علشان اتجوزه، الشيطان، وأكملت حديثها: ساعديني أرجوكي يا كريمة نقتله قبل مايفوق. وأحضرت سكينًا حادًا وقامت بذبح زوجها وفصل رقبته عن جسده وقطعت جسده لأربعة أجزاء وقامت بحرق كل جزء منفصلًا بعيدًا عن الآخر، وصرخت كريمة من بشاعة المنظر وشعرت بالمغص الشديد والقيء. وبعد تقطيع وحرق جسد الزوج صرخت سوزان: يلا يا كريمة الدور على ايثبور فصرخت كريمة برعب: لاااااا..

حرام عليكي دي طفلة، أنا مش هسمحلك تعملي فيها حاجة يا سوزان واستيقظت الطفلة على صرخة خالتها وهي ترى لحمًا مشويًا على الأرض

وأسرعت على الجزء الأول المحترق من الجثة وقامت، وصرخت كريمة عندما تذكرت ايثبور وهي تأكل في اللحم المحروق لجثة أبيها مختار، وتذكرت أختها وهي تصرخ بقوة، صرخت سوزان كالمجنونة: أنا عارفة انك زيه لازم تموتي لازم لازم، إنتي شيطان.. وهنا ظهرت الأيادي السوداء من خلف سوزان وجذبتها إلى الجدار الذي اختفت داخله واختفت سوزان من على وجه الأرض.. ولم يعرف أحد طريقها حتى اليوم.

وصرخت الطفلة الصغيرة: ماما ماما خالتي كريمة ماما راحت فين وبابا فين..؟ ونظرت إلى الأجزاء المحترقة من جسد مختار وقالت: أنا عارفة ان بابا اشترى كل اللحمة دي ليا عشان عارف اني جعانة.

وذهبت لتأكل من الجثة المحترقة، وصرخت كريمة برعبٍ: لا لالا يا هناء تعالي معايا تعالي دي حاجات وحشة وحشة.

فترد الطفلة بتعجُّب شديد: أنا إسمي ايثبور يا خالتى هناء مين..؟ فردَّت كريمة عليها: لا لا يا هناء إنتي هناء.

إنتي هناء بنتي، يلا نروح على البيت، أنا ماما يا هناء أنا ماما يا هناء.. وحاولت كريمة أن تمحي ذاكرة ايثبور وتجعلها تنسى ماضيها وذكرياتها بمساعدة أزهار الطبيبة النفسية، ونجحت أزهار في محو ذاكرة الطفلة بعد مرور خمس سنوات من العلاج المتواصل. وبدأت ايثبور الشيطانة الصغيرة حياتها الطبيعية مع أمها الجديدة كريمة، واسمها الجديد هناء، وتزوجت كريمة وأنجبت ولم تتخلَّ عن ابنة أختها هناء أبدًا، بل عاملتها كابنة لها، وكانت تحبها وتهتم لأمرها. تذكرت الخالة كل تلك الأحداث التي

حدثت من سنين طويلة وهي تجمع ملابسها. وقطعَ حبل ذكرياتها جرس الباب وهو يرن بشدة وفزعت كريمة منه صوته المتواصل وقامت مفزوعهةتفتح الباب فوجدتها على الباب.. نعم هي.. إنها هناء أو ايثبور ..

***

في البيت المشئوم

فتح محمود عينيه فشاهد فتحي المصري يقرأ في كتاب الموتى العزيف، وشاهد الجدار المجاور له انشق لنصفين وظهر ممرٌ طويلٌ وخرجت منه الكيانات السوداء وهي تحوم وتلف حول سرير محمود الذي صرخ من شدة الرعب والفزع. ومدَّ الكيان الأول يده في صدر محمود، فصرخ محمود من شدة الألم وظلَّ يصرخ ويردد آية الكرسي والفاتحة والمعوذتين واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وظلَّ يردد آيات القرآن الكريم والذِّكر الحكيم، فصرخت الكيانات واختفت من حوله كما اختفى فتحي المصري من أمامه وظلَّ الممر مفتوحًا..

فقام محمود وهو يردد بعض آيات القرآن الكريم، ودخل الممر المظلم.

***

وفتح فهمي أحد الأبواب، فصرخ عندما شاهد هناء تفتح عينيها وتستفيق، كاد يصرخ ويحذرها من ألا تفتح عينيها الآن، ولكنه تذكَّر القاعدة: "اصمت تعرف أكثر، تكلم لن تعرف شيئًا" فلم يتكلم وظلَّ ينظر لتلك المحكمة ويشاهد مايحدث بها؛ وفي محكمة الشيطبوس صرخ كبيرهم: دي مش كائن بشري دي.. شيطانة من الجنجادوش واحد

نسلهم وتغير لون عين هناء للون البنفسجي...وصرخت بقوة، وظلت تصرخ وهي تنظر لوجوههم القبيحة، وهنا صرخ كبير الشيطبوس وهو يقول: إحبسوها قبل أن تستفيق وتعرف الحقيقة.
وقامت الكيانات بحملِها ووضعِها في قفصٍ لونه أحمر، ووضعوها في مكانٍ غريبٍ كله أشجار غريبة الشكل، متشابكة الأغصان، أشجار لونها أحمر كلون الدم. وأغلقت عينها ونامت هناء مرة أخرى ولم تستفِق وهنا قال كبير الشيطبوس: النسل دا منسي الجنجادوش ميعرفوش حاجة عن النسل دا.

ولا هي تعرف انها نسل جنجادوش، خلوها هنا لغاية مايتولد المولود ويأتي يوم العبور إلى عالمهم؛ عالم الأرض وفاقت ليليث وهي سعيدة بأنها تحمل نسلًا في أحشائها، وأخيرًا ستصبح أُمًّا من جديد، ولكنها صُدِمَت عندما وجدت المحاكمة وقال كبير الشيطبوس بغضب: بسببك يا ليليث هتخلينا نخسر مملكتنا وترجّع مشاكلنا مع الجنجادوش، خدوها حتى يوم العبور ووضع المولود وممنوعة من عبور لعالم الأرض مرة أخرى.

وصرخت ليليث برعب: لا لا يا كبير الشيطابوس، أنا ليليث ليليث.

وقامت الكيانات بحمل ليليث ووضعها في قفصٍ أسود اللون، وفي غرفة مظلمة ظلت حبيسة بالطفلتين في رحمها وصرخ فهمي عندما شاهد نفسه وهو نائم في قفص حديدي محبوس بجوار زوجته صرخ برعب: بناتي لاااااا ااااااا ولكنها ظلت تحوم حول الأقفاص، إنها الكيانات السوداء المشعرة ذات الأصابع الطويلة.

وتغيَّر المشهد من أمام عينيه عند صرخته وصرخ فهمي عندما شعر بمن يضع يده على كتفه فصرخ. برعب، وسمع من يقول له:

إهدى إهدى يا فهمي.. وردد فهمي مندهشًا: سيادة الرائد محمود، إنت دخلت هنا ازاي.. وكانت مفاجأة.

قصَّ فهمي لمحمود كل ما حدث وما شاهده هنا في ذلك المكان، واستطاع محمود أن يفهم كل شيء ويحدد مكانهم بالضبط؛ فأكيد هما الآن داخل الشاهد الملوَّن؛ القبر البنفسجي.. أو ممر يؤدي إليه.. فقال محمود: فهمي، يلّا نحاول نخرج من هنا بسرعة قبل فوات الأوان.

فيرد فهمي: إزاي واسيب بناتي، لازم افهم فين أينور وأيشتور.

محمود: بعد كل اللي حكيته ولسه مفهمتش، مراتك من نسل الشيطان يا فهمي وانا بنفسي اتاكدت من العلامة اللي في كف إيديها الشمال، وأكيد بناتك زيها يلا نخرج من هنا بسرعة.

وصرخ فهمي: لا لا أينور بنتي نور عيني ومش هسيبها أبدًا في المكان دا لازم اخدها معايا.

وهنا ظهرت أيشتور: خلاص اخترت أينور وهتيسبني هنا لوحدي يا بابا؟

إنت متعرفش انا اتربيت ازاي وشفت إيه هنا.. إنت.. وصرخت أيشتور مع ظهور الأيادي السوداء التي جذبتها لتحت الأرض ولم تكمل حديثها. وصرخ فهمي: أيشتور أيشتور سامحيني يا بنتي سامحيني. وجذبه محمود من ذراعه بقوة وقال: مفيش وقت لازم نخرج قبل الليل بسرعة

يلا يلا..وشد فهمي إيده: قولتلك لا لا مش هسيب بناتي هنا، لازم ارجّعهم لازم.

وجرى فهمي في الممر الطويل تاركًا الرائد محمود خلفه وظهرت الثلاثة أبواب مرة أخرى. واختار فهمي أحد الأبواب ودخل مسرعًا.. فشاهد ليليث وهي تعاني من من الآلام الولادة، ووضعت البنتين: أيشتور وأينور. وقامت الكيانات بأخذ طفلة من الطفلتين ووضعوها بجوار هناء.. وصرخ فهمي وهو ينادي: "أيشتور" وأسرع محمود يركض خلفه في الممر المظلم وهو ينادي على فهمي وشاهد الثلاثة أبواب أمامه:

واختار محمود أحد الأبواب الثلاثة،وشاهد أمامه هناء في عيادة الطبيب مجدي..

ففي عيادة الطبيب مجدي، فاقت هناء وشاهد تغيُّر لون عينيها وشعر بالرعب ورجع خطوتين للخلف.

مجدي بتوتر: مدام هناء انتي كويسة؟

لم تجب هناء وظلت تنظر إلى مجدي بعينين ثابتتين.

مجدى بتوتر: تقدري تتفضلي، الجلسة انتهت يا مدام هناء.

فصرخت هناء برعب: قولتلك انا ايثبور مسمعتش ولا إيه يا دكتور مجدي.. وشعر مجدي بالرعب الكامل وتسارعت دقات قلبه بقوة وقال بصوت مرتعد مهزوز: طيب اتفضلي يا ايثبور الجلسة انتهت خلاص تقدري تمشي.

هناء بضحك: شكرًا يا دكتور، بسببك انا افتكرت كل حاجة وافتكرت أصلي، واكملت قولها: ولازم اخد تاري وارجّع حقي وانتقم من كل اللي عمل فيا كدة وضغطت على حروف كلماتها بقوة.. وغادرت ايثبور العيادة.

و حمد مجدي ربه وشكر فضله على أنه أخيرًا تخلّص من هذا الكابوس المرعب ومن تلك المريضة المصابة بشيزوفرنيا متقدمة، وردد بصوتٍ مسموع: أنا ايه اللي خلاني اشتغل الشغلانة دي ماكنت اتخصصت باطنة ولا اطفال طِب نفسي ايه بس .

***

في منزل كريمة

أم هناء بالتبّني.. فتحت كريمة الباب فوجدتها أمامها بشحمها ودمها، نعم وجدت ابنتها هناء، ارتبكت الأم، وقالت بتوتر:إتفضلي يا بنتي وحشتيني، أخبارك ايه يا بنتي. ظلت هناء واقفة لم تتحرك خطوة واحدة إلى دخل المنزل وكانت تخفي شيئًا خلف ظهرها وتنظر لعيني كريمة برعبٍ، فرددت كريمة بتوتر حقيقي: إيه يا هناء يا حبيبتي مالك واقفة كدة ليه ماتدخلي يا بنتي؟

لم تتحرك هناء بل ظلت تنظر وتنظر إلى أمها كريمة، وتغيُّر لون عينيها للون الأحمر الدموي، فتكلمت كريمة وخرج صوتها مرعوبة: إنتي افتكرتي يا هناء..

فترد هناء بقوة: قولي ايثبور يا كريمة.. وألقت بالشيء الذي تحمله خلف ظهرها، في وجه كريمة وهي تصرخ، تصرخ بقوة: قتلتوا ابويا يا كريمة.. صرخت كريمة عندما وجدت أن الشيء الذي ألقته هناء هو رأس أختها

أزهار وصرخت: لاااا وسقطت فاقدة الوعي تحت أقدام ايثبور وآخر حاجه تسمعها ضحكة هناء العالية.

***

مع الرائد محمود وبعد دخوله لأحد الأبواب الثلاثة شاهد هناء وهي في عيادة الدكتور مجدي، فكان مجدي يجلس على المكتب يحاول أن يتمالك أعصابه بعد خروج هناء وتأكد من قفل الباب جيدًا لا يريد أي مرضى اليوم، والتفت فوجدها أمامه تضحك.. تضحك بمقت.. نعم هي، إنها المريضه التي لم تمضِ خمس دقائق على خروجها من باب العيادة ولا يعلم كيف عادت والأهم لماذا عادت لماذا..؟والتفت الدكتور مجدي لمصدر الضحكة، وقال برعب: إنتي دخلتي هنا ازاي؟ أنا لسه مخرّجك وقافل الباب.

هناء تضحك قائلة: إنت فاكر ان في باب يقدر يقف في طريقي فردَّ مجدي برعبٍ قائلا: وعايزة إيه دلوقتين أرجوكي اخرجي... هناء: عايزة أكل.. جعانة.. وهجمت على الدكتور مجدي كالنمر الجائع وأدخلت يديها في صدره وأخرجت القلب، وظلت تأكل اللحم الطازج الطري للطبيب مجدي.

وهنا صرخ الرائد محمود من بشاعة وهول الموقف.. وتغيرت الصورة والمشهد من أمامه وظهر كيان عملاق عيونه بلون الدم وهو يقترب منه.. يقترب أكتر فأكتر، وشعر محمود بضيق في التنفس وآلالم في صدره، فكان غير قادر على التنفس، لا يرى شيئًا.. وردد محمود آية الكرسي وما تيسر له من القرآن الكريم وآيات الذِّكر الحكيم واختفى الكيان واختفت الأبواب الثلاثة، ووجد أمامه فتحة الممر التي تصل للبيت المشئوم ففكَّر بالهروب والخروج من هذا الجحيم وترك خلفه فهمي، ولكنه لم يستطع

أن يفعل ذلك ويا ليته فعل وهرب.. و لكنه القدر ولم يستطع الخروج وترك فهمي يواجه مصيره وحده وعاد مرة أخرى لنهاية الممر وهو ينادي باسمه بصوت عالي قائلا:فهمي.

***

في منزل كريمة

فتحت كريمة عينها، فوجدت رأس أختها أزهار ملقاة على الأرض وفوقها هناء تأكل في جسد اختها أزهار، وصرخت كريمة في ابنتها قائلة: هناء إيه اللي بتعمليه دا يا هناء دي خالتك أزهار حرام عليكي يا بنتي؟

فضحكت هناء بقوة قائلة: و إنتم حرمتوني من بابا وخلتوني أكلته، أكلته بعد ماحرقتوا جثته، مكنش حرام عليكم؟!

كريمة: لا يا هناء، أمك هي اللي موتت مختار ابوكي إحنا ملناش ذنب يا بنتي صدقيني، وكانت عايزة تموتك وانا مردتش وأخدتك ربيتك وعملتك زي بنتي فوقي يا هناء، إنتي إنسانة يا حبيبتي مش شيطان زي مختار.

وضحكت هناء: بسببكم خلتونى انسى أصلي اني من الجنجادوش، وبسببكم خليتوا الشيطابوس ياخد مني بناتي ويتحكم فيا، لازم تدفعوا التمن غالي أوي، فردَّت كريمة: مش فاهمة انتي بتقولى ايه..؟ وظهرت الأيادي السوداء وجذبت كريمة للجدار واختفت كريمة وهي تصرخ، وسمعت ابنتها تقول: روحي عند سوزان وشوفي نفس مصيرها يا ماما. وضحكت هناء أو ايثبور بقوة وتردد صدى ضحكاتها المتواصلة في المكان.

الفصل التاسع عشر

عودة فهمي إلى عالمه من جديد

كان فهمي يحاول أن يجذب ابنته ايشتور من جانب لليليث، ولكنه لم يستطع جذبها أبدًا، ونظرت ليليث له بعيني حمراوين بلون الدم، فتراجع للوراء وخرج من الغرفة مسرعًا، وشاهد نفسه في الممر مرة ثانية. وسمع محمود ينادي عليه: فهمي، ردَّ فهمي قائلًا: نعم يا محمود انا هنا.

محمود: يلا يا فهمي نخرج من هنا بناتك مش هتقدر ترجعهم تاني دول من نسل الشيطان وهناء مراتك شيطانة.

فهمي: مش قادر مش قادر يا محمود اسيب أينور.

محمود: مفيش وقت يا فهمي افهم..

فهمي: طيب اشوف أينور بنتي لآخر مرة واودعها محمود خلاص تعالى ندور عليها و..شاهدوا الثلاثة أبواب مرة أخرى، فتحرك فهمي يهم بدخول أحد الأبواب، ولكن محمود جذبه بعيدًا عن الباب وقال محمود: بلاش ندخل باب من الأبواب التلاتة يا فهمي تعالى نستنى شوية نشوف إيه اللي هيحصل.. وانتظر الاثنان ولم يحاولا دخول أي من الأبواب الثلاثة، وظل محمود يردد ماتيسَر له من القرآن الكريم وآيات الذِكر الحكيم واختفت الأبواب الثلاثة وظهرت أينور وهي ترتدي فستانها الأبيض المزق.. نادى عليها فهمي بلهفة: أينور بنتي تعالي يا أينور.

أينور بتضحك: ايه اللي دخلك هنا يا بابا؟

فهمي: كنت بدور عليكي يا حبيبتي يلا يا أينور نخرج من هنا يلا.

ابتسمت أينور ابتسامة حزينة: مينفعش يا بابا مينفعش ويقترب منها الأب ببطء فتصرخ أينور: متقربش يابابا واخرج من هنا بسرعة فقال فهمي: تعالي معايا يا أينور، أنا مش هسيبك هنا لوحدك أبدًا وترد أينور:

انت لسه مفهمتش يا... فيردد فهمي: فهمت إيه يا بنتي؟ وتقترب أينور من والدها: تعالى معايا وانا هفهمك كل حاجة، بس اوعدني انك تخرج على طول من غير أي كلمة وافق فهمي بلهفة.. وسار الاثنان ومحمود خلفها وتوقفت عند مكان غريب كله أشجار متشابكه، وظهر ظهر من تحت الأرض.. إنه القبر البنفسجي او الضريح.

وفُتح باب القبر الرخامي واشتدت الرياح تحرك أوراق الشجر واقتربا ببطء من القبر.. وصرخ فهمي عندما شاهد.. جثة أينور المتحللة وترتدي ثوبها الأبيض الممزق، وصرخ فهمي وهو يحتضن جثة ابنته: لا أينورررر.. فجذبه محمود من ذراعه: فهمي لازم نخرج من هنا لازم..

فصرخ فهمي: لا لازم اعرف مين اللي قتل بنتي وليه ليه يا سيادة الرائد يقتلوها..؟وصرخ بحرقة: آه يا أينور.

وظهرت روح أينور مرة أخرى: اخرج اخرج بسرعه يا بابا، أرجوك مفيش وقت لكل دا.

فهمى بلهفه يرد عليها: مين اللي قتلك يا أينور مين؟؟

أينور: مفيش وقت يا بابا اخرج دلوقتي وهقولك كل حاجة بعدين..

وصوت صريخ وأصوات همهمات متداخلة فهمي بيصرخ: لا، أنا لازم اعرف مين اللي قتلك. أيشتور اختك؟ ظهرت الأيادي السوداء من تحت الأرض التي لا ترحم ولا تدع أحدًا، وجذبت روح أينور لأسفل الأرض.. إلى مكانها الطبيعي في القبر البنفسجي. حاول الأب أن يجذب يد ابنته، ولكنه فشل ولم يستطع.. وصرخ فهمي صرخ مناديًا ابنته أن تعود من جديد وتخرج معه من ذلك الجحيم.

محمود: يلا يا فهمي نخرج مفيش وقت كل دا مش هينفع خلاص بنتك راحت للي خلقها، فيرد الأب بحرقة: مش قادر يا محمود، مش قادر اصدق كل دا انا لازم اخد جثة بنتي وادفنها. وذهب للقبر المفتوح وأحضر جثة ابنته وحملها بين ذراعيه وهو يبكي بقهرة على فلذة كبده، وأول فرحة في حياته ابنته الغالية أينور.. وهنا ظهرت أيشتور:

يعني خلاص قررت تاخد أينور بنتك وتسيبني هنا لمصيري.. فيرد فهمي بغِلِّ: إنتي اللي قتلتها إنتي اللي قتلتها، قتلتي بنتي ونور عيني.

أيشتور بحزنٍ: تردد كلام الأب أنا اللي قتلتها؟ إنت للأسف فاهم غلط تعالى يا بابا هوريك مين اللي قتلها وهعرفك الحقيقة كلها. ويحاول محمود منعه من الذهاب خلف ابنته الأخرى وهو يصرخ: بلاش يا فهمي، يلا نخرج من هنا أفضل، الحقيقة مش هتغير حاجة يا فهمي صدقني. لم يرد الأخير عليه بل ذهب خلف ابنته وهو يحمل جثة ابنته الأخرى ولم يرد بأي حرفٍ على الرائد محمود وذهب لمعرفة الحقيق.

***

كان فتحي المصري يقرأ في كتاب الموتى وفي تلك الحظةظهرت هناء من خلفه وهي تحمل في يديها... وصرخ فتحي برعب عندما شاهد ما تحمله: إنه ابنه الصغير، فكانت هناء تبتسم بمقت وتسيل الدماء من بين شفتيها وصرخ فتحي المصري: إرحميه دا دا مجرد طفل، أرجوكي سيبيه دا ملوش دعوة وضحكت هناء: وظهرت أسنانها الحمراء الملطخة بالدماء وهي تقول: بناتي جعانين يا فتحي ولازم ياكلوا لحم طازج طري.. طري.. وصرخ فتحي وصرخ الطفل وهو يبكي بشدة وينادي على والدة لينقذة واختفت هي داخل المر المظلم وحاول فتحي الدخول خلفها، ولكنه لم يستطع فقد قُفِل المر، وحاول أن يقرأ في كتاب الموتى ليفتح الفجوة مرة أخرى ولكن كل شيء اختفى من أمامه، واختفت الحجرة المشئومة والكتاب والمر ووجد فتحي نفسه في منزله، وصرخ باسم طفله: عمر.

***

سار فهمي خلف ايشتور وهو يحمل جثة أينور بين ذراعيه ودموع الألم تعتصر قلبه على أينور، وحاول محمود أن يجذبه، يمنعه من السير خلف أيشتور، ولكن فهمي لم يتوقف وكأنه قطار توربيني لا يتوقف إلا في نهاية الخط. وتوقفت أيشتور أمام أحد الأبواب الثلاثة، فكان بابًا مختلفًا بلونه الأسود القاتم وقالت: إدخل يا بابا ادخل وهتفهم كل حاجة.

فصرخ محمود بشدة: لا لا يا فهمي بلاش تدخّل يلا بينا نسيب المكان دا ونحاول نهرب بسرعة قبل فوات الأوان.

لم يسمع الأب الملكوم أي كلمة، فكانت دموع الحسرة على فقد ابنته تقتله قتلًا، كان مُصرًا على معرفة الحقيقة مهما تكون النهاية، فدخل الغرفة وحاول محمود أن يلحق به بأن يدخل خلفه، ولكنها منعته من الدخول.

وصرخت بعينين حمراوين كلون الدم: ممنوع ممنوع ممنوع صرخت أيشتور فنظر لها الضابط بغيظ يحاول الدخول خلف فهمي، يحاول أن يبعد أيشتور، ولكنه لم يستطع أبدًا الخلاص: فإن استطاع إبعاد الطفلة الصغيرة فكيف سيبعد تلك الأيادي السوداء التي ظهرت من خلفه كيف كيف..؟وظهرت الأيادي السوداء من خلفه.. وجذبته وجذبته لنهاية الممر وظل محمود يتلو آيات القرآن الكريم والذِكر الحكيم وسمع الصرخات الحادة للكيانات السوداء الهائمة وأغمض عينيه، وظلَّ يردد آيات القرآن الكريم ويردد وقلبه يكاد أن يتوقف من الرعب، ولكن ألا بذِكر الله تطمئن القلوب.. نعم فلقد هدأ قلبه وقلَّ توترة لم يعد يخاف شيئًا.. فقال هامسا لنفسه :نعم لم أخَف أي شيء.. فقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. ردَّد محمود وسكت كل شيء من حوله ولم يسمع إلا صوت أنفاسه المتلاحقة وفتح عينيه ببطء فوجدها أمامه..

نعم هي ايثبور وتحمل الطفل الصغير فقال محمود: هناء، إحنا عرفنا الحقيقة.سيبي الولد يا هناء وانقذي فهمي بسرعة.. وبنتك أيشتور.

ظلت تحدق به برعبٍ و تنظر ايثبور له بجمود نظرة ثابتة توقفت معها أنفاسه عن الخروج وتسارعت دقات قلبه وتذكر ماذا فعلت بالدكتور مجدي، تذكر كيف أخرجت قلبه بكل وحشية وأكلته بكل بشاعة.

فشعر بالرعب من نظرة عين هناء، وبدأ يقرأ ويرتل القرآن الكريم، وهنا دفعته بيديها فطار لنهاية الممر وسقط بقوة على الأرض

يتأوه، ووجد الباب مفتوحًا.. نعم إنه باب الممر المظلم وشاهد الغرفة أمامه، وبدون تفكير خرج مسرعًا من الممر ومن كل هذا الجحيم خرج إلى غرفة أينور أو الغرفة المشئومة إن صح التعبير،وشاهد فتحي المصرى يصرخ يصرخ.

كان يحاول بكل الطرق أن يفتح الممر مرة أخرى، ولكنه لم يستطع؛ لأنه يعلم جيدًا أنه ممنوع من العبور للعالم الآخر من الشياطين، ممنوع من المروو بأوامر من كبير شياطين الشيطابوس، ولكنه كان يحارب ويحارب فلتذهب جميع الشياطين إلى الجحيم.. المهم هو ابنه، وشاهد الممر يُفتَح والرائد محمود وهو يسقط على الأرض أمامه بقوة وأسرع يحاول الدخول إلى الممر وبوابة العبور لعالم الشياطين، لم يستطع وقُفل الباب مرة أخرى في وجهه، وصرخ فتحي.. ونظر لمحمود بعينين حمراوين.. فصرخ محمود برعب: لاااا وهجم فتحي على محمود وهو يحاول اقتلاع قلبه من الصدر وردد الرائد آيات الذِّكر الحكيم وظل يردد ورتل ويغمض عينيه بقوة حتى لا يرى أي شيء، وصرخ فتحي: لازم استرد قوتي تاني، لازم اكل وارجّع ابني، وصرخ بقوة من شدة الألم عندما سمع آيات الله.

واختفى فتحي من الغرفة، ونظر محمود متعجبًا من كل هذا ولم يجد أي أثر لفتحي المصري في المنزل فخرج محمود من البيت المشئوم وهو يكره

هذا اليوم الذي عمل به ضابط شرطة، وخرج فتحي يبحث عن طعام طازج ولحم طري حتى يسترد قوته ويعيد ابنه الصغير.

***

ودخل فهمي الغرفة وهو يحمل جثة أينور بين زراعيه وشاهد ابنته أينور أول يوم ذهبوا فيه إلى المنزل الجديد أو نقصد نقول إلى البيت المشئوم، دخلت أينور مسرعة سعيدة بتلك الحجرة الكبيرة البنفسجية اللون الخالية من أي فرش وشاهدت مفاتيح كهرباء، وحاولت فتحها لتنير الغرفة حاولت وحاولت وشعرت بحركه خلفها، وصوت صفير الرياح في أذنها، فالتفتت أينور وشاهدت إيهاب وإيناس وهما يشاهدان النمل الميت الكثير من النمل الأسود الكبير، كله ميت على الأرض بالغرفة وتضحك أينور وهي تشير بيدها خارج الحجرة: اخروجوا برة يا حلوين دي هتكون أوضتي. وتسرع إيناس وتحضن أختها بقوة: لا انا مش هسيبك تنامي لوحدك ومين هيغطيني بالليل. وابتسمت إيناس بحنان وحب لأختها الكبيرة وبادلتها أينور الابتسامة، وضرب إيهاب إيناس على يديها: تعالي اوريكي اللي لقيته بسرعة.

واسرع إيهاب وإيناس وغادرا الغرفة مسرعين، وظلت أينور لوحدها تحاول فتح النافذة وشعرت ببرودة شديدة وهواء باردًا من خلفها، وصوت صفير الريح"هوووووف" ووجدت كتابًا غريبًا مرميًا على الأرض فمسكت الكتاب وحاولت أن تقرأ، فلم تفهم شيئًا، كلها كلمات غريبة وطلاسم وقلبت صفحات الكتاب فوجدت صورة هناء، أمها..

أينور مستغرب، تصرخ تنادي: ماما يا ماما، ودخلت هناء الغرفة مسرعة وهي تقول: فيه ايه يا أينور؟

فردت أينور: تعالى شوفي الصورة دي بسرعة، ومسكت هناء الكتاب وشاهدت صورة تشبها كثيرًا إن لم تكن هي نفسها، ومكتوب تحتها كلام باللاتيني، وقرأت هناء الكلمات بالرغم عدم معرفتها باللغه اللاتينية، وقرأت وظلت تقرأ الكلام الغريب والطلاسم وكأنها تقرأ الحروف الأبجدية، وكأنها تعرف تللك الكلمات جيدًا وتحفظها عن ظهر قلب، وتغيَّر لون عينها للون الأحمر الدموي، وشعرت أينور بالرعب من تغيُّر لون عين الأم، وصرخت الطفلة:ماما يا ماما انتي كويس.. ولم ترد هناء، بل ظلت تنظر بجمود إلى أينور.. واقفل باب الغرفة بقوة.. وانشق الجدار إلى نصفين وظهر النفق المظلم.. اقتربت الأم من ابنتها وشعرت أينور بالرعب وصرخت بقوة: ماما يا ماما أنا خايفة.

و قامت الأم بوضع يديها حول رقبة ابنتها وقامت بخنقها، وظلت تخنق تخنق ولم تستطع الطفلة الصراخ أو طلب المساعدة وظلت تخنقها وتعتصر رقبة ابنتها بقوة، ولم تستطع أينور المقاومة أو تصديق ما يحدث أن تاتي يد الغدر من أقرب مخلوق لك في الدنيا وهي أمك، لم تصدق أبدًا أو تستوعب ما يحدث أن تقتلها أمها أن تؤذيها وتسبب لها الألم..؟ وهنا ظهرت أيشتور من الممر المظلم وهي تجري مسرعة وتصرخ برعب: سيبها يا ليليث أختي أينور ملهاش ذنب سيبها ولم تستطع ايشتور تخليص أختها من يد هناء التي تملكها الشيطان، وسقطت أينور

جثة هامدة تحت قدميْ أمها ووقفت هناء تنظر لايشتور بعينيها الحمراوين.

فقالت أيشتور: خلاص اخرجي بقى هعمل اللي انتي عايزاه خلاص يا ليليث اخرجي بسرعة.

وظهرت الأيادي السوداء وأخذت جثة أينور، وظلت ايشتور تنظر إلى هناء بجمود وانفتح الباب فجأة بقوة ونظرت ايشتور من الشباك إلى قبر أختها أينور بحزنٍ شديدٍ؛ القبر البنفسجي، وهنا فاقت هناء ودخل فهمي وعدلي السمسار ابن عمها وهو ينظر لأينور وقالت هناء: فيه ايه يا أينور يا حبيبتي؟

ايشتور بحزنٍ: إيه دا يا ماما....؟

هناء بتنظر للمقابر يا ساتر يارب تعالى يا فهمي شوف كدة.

فهمي: دي المقابر يا حبيبتي يعني ا اللي بيموت بيدخل في القبر اللي هو دا القبر اللي هو دا.

***

و هناصرخ فهمي صرخ بحرقة عندما شاهد زوجته وهي تقتل ابنته أينور وعرف الحقيقة وصرخ:
ليه ليه يا هناء ليه..؟دي بنتنا أينوررررررررر.

وفي تلك اللحظة دخلت هناء الغرفة مسرعة، والشر يملأ عينها وشاهدت كل شيء

الفصل العشرون والأخير

ربما كانت النهاية

هذا الجزء من خيال الكاتبة، فلابد من دخول مكان معين أن تمر من بوابة عبور أو باب دخول ندخل منه إلى هذا المكان، فكانت الشقة الجديدة التي اشتراها فهمي هي بوابة العبور لعالم الشياطين وخصوصًا غرفة أينور. والقبر البنفسجي بداية طريق العبور للعالم السفلي والمرور لعالم الأرض، ولقد حكم كبير الشيطبوس على ليليث بالسجن في بوابة المرور.

حتى لا تستطيع العبور لأيٍّ من العالمين السفلي عالم الشياطين والأرض عالم البشر بسبب ما فعلته مع نسل الجنجادوش ايثبور أو هناء وأمرت الدكتور شهاب بأن يضع جنينًا ويزرعه في رحمها حتى يكون لها ذرية ونسل من صلبها، ولكن ليليث الفاتنة لم تستطع أن تتحمل حُكم كبير الشيطابوس واعتبرته حكمًا قاسيًا ظالمًا لها ويحرمها من لذات الحياة، وكرهت ليليث ايشتور كرهها لأنها السبب في عزلتها وحبسها في بوابة العبور ولا تستطيع العبور لأي العالمين: لا عالمها: عالم الشياطين ولا عالم الأرض.

ومن يوم ولادة ايشتور وهي تكرهها؛ فهي محبوسة في تلك الفجوة الزمنيه..لا تستطيع المرور أو العبور إلى كلا العالمين وكانت تشاهد كل من يعبر ويمر للعالمين ولم تستطع هي أن تقرب من الباب فكانت تتحسر على حالها.. وتكره أيشتور وتكره هناء لأنهما من نسل الجنجادوش.

فلو كانوا مجرد بشر عاديين ولم يكونوا من نسل الجنجادوش فما كان سيحدث كل ما حدث أبدًا لو كانو نسل أي بشري أكيد لم يكن ليحدث

هذا أبدًا.. و لم يحكم عليها كبير الشيطبوس بالسجن وعدم المرور إلى الأرض فكرهت ليليث الطفلة أيشتور وكان كرهها لها يتزايد أكثر واكثر كل يوم يمر عليها ,لأنها سبب كل ما هي فيه وكرهت هناء لأنها من نسل الجنجادوش وهي سبب عزلتها في تلك الفجوة الزمنية.

وقررت أن تنتقم من الجميع من هناء ومن أيشتور ومن كبير الشيطبوس بسبب حُكمه القاسي: بحرمانها من العبور للعالم السفلي وعالم الأرض.

قررت ليليث أن تجعل هناء تتذكر أصلها؛ وبأنها من شياطين الجنجادوش حتى تنتقم من الشيطابوس لما فعلوه بنسلها.. وتنشب الحرب بين الشياطين وتستغل هي الفرصة وتهرب تهرب لعالم الأرض وتستعيد حريتها، قررت أن تحرق قلب هناء على أولادها.. ظلت تفكر كيف تنتقم..؟ كيف تجعل هناء تتذكر أصلها الشيطاني.. ؟ فكانت تعامل أيشتور أسوأ معاملة، من ضرب وحرق بالنار. فكانت ترى فيها كبير الشيطبوس الذي حرمها من لذات الحياة في صورة الطفلة الصغيرة أيشتور، وظلت تعذب بها وتقهرها يوم بعد يوم، واستطاعت ليليث بعد مرور 11 سنة من السجن والعزلة أن تغوي أحد شياطين الشيطابوس ذي النسل البشري وهو فتحي المصري، وكان أحد الشياطين الذين يمرون كل يوم من بوابة العبور لعالم الأرض، وجعلته يقنع هناء وفهمي بأن يسكنوا في الشقة المشئومة حتى تستطيع هي أن تنتقم؛ حيث ان الشقة كانت تقع بها الفجوة الزمنية للعبور للعالمين. وحتى يكونوا قريبين منها لأنها لا تستطيع الخروج لعالم الأرض فهي

سجينة، ونجح فتحي وهو أحد نسل الشيطبوس في إقناع فهمي وهناء بالشقة الجديدة بعد أن اتخذ هيئة عدلي السمسار ابن عم هناء، استطاعت... شيطانة الموت ليليث أن تجعل هناء تقتل ابنتها أينور بعد أن تقمصت روحها.. حتى تحرق قلبها على أينور وحاولت أيشتور أن تنقذ أينور لكنها لم تستطع أبدًا أمام قوة لليليث الجباره وطلبت ليليث من أيشتور أن تأخذ مكان أينور وتحل محلها في الأسرة وتحاول أن تجعل هناء تتذكر أصلها؛ بأنها من الجنجادوش كي تنتقم من كبير الشيطابوس وتقوم الحرب بين العشرين شياطن، .. و تقوم هناء بقتل كبير الشيطابوس عندما تعرف أنه حرمها من ابنتها أيشتور وأعطاها لليليث تربيها.. وتستطيع هي أن تعيش بحرية تامة وتتمتع بحياتها مرة ثانية.. فعلًا شيطانة يا ليليث وتستحقين لقب شيطانة الموت عن جدارة، و لكنها لم تعلم بان هناء تعرف كل شيء الان وبأنها هي التي جعلتها تقتل طفلتها ونسلها أينور .. وشاهدت كل ما حدث وعرفت من الذى قتل ابنتها أينور..؟

***

و هنا صرخ فهمي : ليه ليه يا هناء قتلتها ليه.؟والتفت فهمي وهو يحمل جثة أينور في تلك اللحظة فوجد هناء في وجهه..

فصرخ فهمي في وجهها وهو يحمل أينور بين ذراعيه: قتلتها ليه يا هناء ليه دي أينور أينور؟

وصرخت هناء عندما شاهدت جثة ابنتها أينور.. وصرخت برعب قائلة: "ليليث" وتحولت عيناها للون الأحمر وهي تصرخ، وتركت الطفل يسقط من يديها فحملته أيشتور بين ذراعيها وأسرعت هناء كالمجنونة تركض باتجاه الممر.. وذهبت ايثبور حتى تنتقم من ليليث وتنتقم منهم جميعًا.. نعم من جميع شياطين الشيطابوس و....

فقالت أيشتور: اخرج يا بابا بسرعة دا مش مكانك أاذًا.

فقال فهمي بتردد: تعالي معايا يا أيشتور أنا مش هخرج لوحدي.

أيشتور: مينفعش يابابا انا قولتلك ان واحدة فينا بس اللي هتخرج معاك وانت اخترت أينور.

فردَّ فهمي: وهتعيشي هنا ازاي يا بنتي..؟

وتبتسم الطفلة قائلة: أنا بقالي 11 سنة عايشة هنا واتعودت خلاص.

يا بابا أنا أجمل ايام اللي عشتها وسطيكم إنت وماما واخواتي إيهاب واويناس قولهم ميزعلوش مني، أنا كنت بحمهم من ليليث، قولهم اني بحبهم مكنتش عايزة حد يعرف اني مش أينور علشان ليليث مكنتش بترحم، شوف يا بابا كانت بتعمل فيا ايه، كانت بتحرق إيدي وشاهد الأب يد ابنته المشوهة من تعذيب ليليث وآثار اللحم المقطوع من جسدها. فقال فهمي وهو يبكي بحرقة: تعالي يا بنتي.

وارتمت ابنته بين ذراعيه وظلّ يبكي: أنا هخدك معايا يا أيشتور، أنا مستحيل اسيبك هنا أبدًا لوحدك.

فتردّ ايشتور: مش هيخلوني أمرّ يا بابا، أنا اتحكم عليا اعيش هنا في بوابة المرور وإنت اخترت أينور يلا بسرعة مفيش وقت قبل البوابة ماتتقفل يلا يلا بسرعة.

فهمي: واخواتك يا أيشتور مصيرهم إيه..؟

أيشتور: متخفش يا بابا اول نسل بس هو اللي نسل الشيطان وباقي النسل بشر.

فهمي: وهناء امك إيه مصيرها يا ايشتور...واقترب فهمي من البوابة هو وابنته.

أيشتور: يلا يا بابا بسرعة، مفيش وقت اعبر اعبر مُرّ بسرعة أرجوك.

فهمي: تعالي معايا تعالي يا أيشتور فصرخت: يلا يا بابا مفيش وقت..اخرج بسرعة اخرج..

فهمي بتردد: وامك يا ايشتورخدي بالك منها يا ايشتور قوليلها اني... وعبر فهمي الممر السري والنفق المظلم إلى عالمه:؛ عالم الأرض من جديد وخرج وهو يحمل جثة أبنته أينور.

وردت أيشتور بعد تحول عينها للون الأحمر الدموي: هنشوف هنعمل معاها إيه.. وضحكت ضحكة حادة تردد صداها في المكان المظلم.. وهنا اختفى كل شيء.. الممر السري واختفت حجرة أينور وظل فهمي ينظر لمكان الغرفة بذهول وهو يحمل جثة أينور بين ذراعيه ويبكي بحسرة ثم تسلل فهمي في الليل للمقابر وقام بحفر قبر لدفن ابنته ،و لم يلاحظ

فهمي أنه نفس الشاهد الملون القبر البنفسجي ..الضريح الملعون وقام بحفر القبر فوجد جثة لأمرأة مدفونة بكامل ثيابها و تلطخ الدماء وجهها.. انها جثة هناء زوجته..فكانت مدفونة في الضريح.

وصرخ فهمي بلوعة قائلًا: هناءءءء

***

وعاد الأب لولديه إيناس وإيهاب، وأخذهما وترك القاهرة بشياطينها إلى محافظة أخرى وهي الإسكندرية؛ معتقدًا بأنه ابتعد عن كل شيء. واهتم بتحفيظ ولديه كتاب الله؛ القرآن الكريم الذي سيحفظهما من أي شرٍ في العالم وسيحميهما من اي شيطان أو جن في العالم كله.

وكره النساء جميعًا واعتقد بأنهن جميعهن شياطين.. فكان يتجنبهن ويخشاهن جميعا إلا هي ..

فبعد مرور سنين عندما شاهدها وشاهد أنوثتها الطاغية، ساحرة هي ابتسامتها.. امرأة فائقة الجمال والفتنه.. كانت جديدة في العمل .

ووقع هو في حبها من أول نظرة لا يدري لم هي من دون نساء الأرض.. لا يعلم .

فسألها بهيام عن اسمها: فابتسمت بدلالٍ قائلة: ليليث..

***

وهنا تبدأ مرحلة جديدة في حياة فهمي، فماذا سيحدث إن اتحدت الظلال البشرية مع الشياطين ؟ماذا سيحدث بعد أن ظن فهمي أنه تخلص من جميع الشياطين بموت زوجته فوجد الظلال تتبعه وتتربص به وربما كانت تنتظره أيضًا على شواطىء الإسكندرية الساحرة، ربما يريدون الخلاص من ذلك الجو الحار بالقاهرة فقرروا الرحيل بالسفر إلى محافظة أخرى لاستنشاق بعض الهواء النظيف بعيدًا عن الزحمة والتلوث وربما لينعموا بنسيم البحر المنعش.. لا ندري حقًّا..

وهل تعتقد حقًّا يا عزيزي أن للشياطين ظلالًا مثلنا ربما.. وكيف ستكون هيئتها؟ هل ستكون بمثل هيئة الشيطان ذاته أم أنها ستختلف عنه؟ فماذا ستفعل إن اكتشفت يومًا هروب ظلك واتحاده مع أحد ظلال الشيطان؟ ماذا سيحدث حينها؟؟ لا ندري حقًا.. فهذا أمر آخر ويطول شرحه وليس وقته الآن فلندع الحديث عنه لاحقًا..

لا تفتح التابوت، فسيذبح الموت بجناحيه كل من يجرؤ على إزعاجنا.